مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الخطاط البغدادي علي بن هلال

المشهور بابن البواب

تأليف

الدكتور . ا . سهيل انور

مدير معهد تاريخ الطب بجامعة استانبول

٭

ترجمة

محمد بهجة الأثري   عزيز سامي

٭

تلي الرسالة تحقيقات وتعليقات تاريخية وأدبية من وضع الأول

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٧ — ١٩٥٨

الخطاط البغدادي علي بن هلال

المشهور بابن البواب

تأليف

الدكتور . ا . سهيل انور

مدير معهد تاريخ الطب بجامعة استانبول

✡

ترجمة

عزيز سامي　　　محمد بهجة الأثري

✡

تلي الرسالة تحقيقات وتعليقات تاريخية وأدبية من وضع الأول

المقدّمة

أهدى الدكتور سهيل أنور Süheyl Ünuer — إبّان زيارته بغـداد — هذه الرسالة اللطيفة الى وزارة المعارف ، تذكاراً لعلاقاته العلميّة والفنّيّة بهذا البلد الطيّب المتحضّر الذي أهدى الى العالم كلّه حضارة راشدة مثمرة ، نعم بها عصوراً طوالاً ، وكان لها أثر واضح فيما نشأ من حضارات من بعدُ .

ثمّ أهدت وزارة المعارف الرسالة الى المجمع العلميّ العراقيّ ، لأنّها وثيقة الصلة ببحوثه وأعماله العلميّة ، فرأى المجمع من كرامة هذا الإهداء عنده أن يبادر الى ترجمتها ونشرها ، وأن يعهد الينا ذلك ، وما كان أكرمه علينا من تكليف !

وإنّنا لنعلم من سيرة كاتب الرسالة الفاضل اشتهارَهُ عند قومه بآثاره في تاريخ الطب والفنّ . وكان أبوه يتولى ادارة الحسابات العامة وكان عالماً وضليعاً بالموسيقى ، فورث نحائزه وميوله المتعدّدة ، فاذا هو يجمع بين الطبّ والرسم والزخرفة والإذهاب والتجليد ، ويفوق في كلّ ذلك ، ثمّ يرفعه نزوعه الى البحث والتأليف الى ادارة معهد تاريخ الطب بجامعة استنبول وتدريس هذا التاريخ فيه واصدار مجلة تاريخ الطبّ في الجامعة ، وتعيينه مدرّساً لتاريخ الزخرفة في مجمع الفنون . ومن آثاره رسائل ومقالات في تاريخ الطب والتطبيب ، نَشَرَ منها الطبّ في زمن السلاجقة ، والرسم عند الأتراك ، والإذهاب والزخرفة ، والطبّ عند الأويغور ، ورسالة في الخطّاط أحمد القره حصاريّ ، وهذه الرسالة اللطيفة في ابن البوّاب البغداديّ صاحب الأثر العظيم في نقلة الخطّ العربيّ الكوفيّ الى صورته الفنّيّة الحديثة المستعملة الآن

وأعظم من جوّد الكتابة المنسوبة في العصر العبّاسيّ .

وقد تسنّت للدكتور سهيل أنور في رسالته مزايا عدّة من الجمع والاستقصاء على قدر وسائله وعُدّته من اللغة العربيّة ، وأحسن في التمثيل لما كتب بالنماذج الحسان من خطّ ابن البوّاب ومقلّديه ومن الزخارف العبّاسيّة وصور جلود الكتب المصنوعة ببغداد في العصر العبّاسيّ ، وهي روائع تبصّرنا ببراعة الأسلاف في الفنون الرفيعة وفي رسوم الأشكال الهندسيّة المبتكرة وإتقان الصناعات الدقيقة الجميلة .

على أنّ أظهر ما في هذه الرسالة هو الروح الفنّيّ الذي هيمن على الكاتب التركيّ ، فأوحى اليه إكبار الخطّ العربيّ الرائع الذي أُبدع في بغداد ، وأخذه منها الأتراك فكانوا أساتذته المجلّين لعدة عصور خلت حتّى زماننا هذا ، كما أوحى اليه الحرصَ على استبقائه والاستمرار على استعماله وتجويده ، وحمله على الدعوة الى الأخذ بأسباب هذا الاستبقاء في حماسة فائقة وحميّة بالغة تشعرنا بمبلغ « الفنّيّة » المسيطرة على هذا الباحث المتفنّن الجليل . ومن ذلك أنْ دعا الى إيفاد فتيان موهوبين في الخطّ من الشبّان البغداديّين الى استنبول ، ليتعلّموا على بقايا أساتذته من الأتراك ، ولينقلوا الى بغداد هذا الخطّ العربيّ الذي بلغ أرقى الدرجات عندهم .

وما أجمل قوله في الإبانة عن الباعث الذي حمله على كتابة رسالته : « ونحن — بهذا الأمل — انبعثنا الى تأليف هذه الرسالة ، وما برحنا جادّين في إعداد غيرها ، وقصدُنا أن تستعيد بغداد في القرن العشرين ، وهي مهد الخطّ الجميل ، مكانتها العظيمة القديمة فيه ، وأن يستلفت المتفنّنون الذين سينشؤون فيها أنظار العالم اليهم » !

المقدّمة

مع علماء بغداد و"فنّانيها"

بسم الله الرحمن الرحيم

في ظلّ بسملة عليّ بن هلال ، المكتوبة بالحبر الأسود ، المذهبة الحاشية ، التي أوردناها على حدة ، نحبّ أن نقول : إنّ أشهر موجدي الخطّ الجميل ، وكاتبيه ، والمتفنّنين الأوائل الذين تفرّدوا بهذا الفرع من الفنون الرفيعة ، قد نشؤوا في بغداد ، وفيها برعوا بخطوطهم ، إذ كانت بغداد عاصمة الدولة « VILLE IMPERIAL » على عهد العبّاسيّين ، فتوافد عليها أرباب الفنون ، في عهد الخلفاء العبّاسيّين والأمراء المتغلّبين ، من مختلف أنحاء البلدان الإسلامية الشرقيّة ، وفيها ظهرت مواهبهم .

وإنّنا لنملك اليوم ألمع آثار العهد العبّاسيّ ، وأجملها : من متون ، الى زخارف ، الى تجليدات . وآثار عليّ بن هلال ، بين هذه الآثار في الخطّ ، هي من أكمل الخطوط .

وحين يرى الإنسان ما خطّته براعة عليّ بن هلال ، يتساءل : ترى ، ألا يزال قلما الثلث والنسخ ، اللذان قطعا مراحل تطوّرهما الجميل ، يكتبان اليوم في بغداد ، ولهما مكانتهما القديمة فيها ؟

تخامر النفسَ الرغبةُ في أن يكون قلما الثلث والنسخ ، اللذان أبدعا في مدينة بغداد التأريخيّة ، وتطوّرا فيها ، مستمرّين اليومَ فيها في مراحل التطوّر الّتي قطعاها .

ولعل القول إنّ الصّلة بروح هذا الفنّ الجميل قد انقطعت ببغداد ، يجافي الحقّ . ذلك أنّنا لا نزال نجهل ما هنالك ، ولا نعلم شيئًا عن البيأة الفنّيّة ببغداد .

ولكنّ الوافدين علينا منها ، ولا سيّما الّذين يستكتبون خطّاطينا بعض الموضوعات ويتّصلون بأرباب الفنّ منا ، لا يَروُون من ذلك ما تطمئنّ اليه القلوب .

نحن نقول لهم : إن هذا الخطّ قد أُبدع في بغداد ، وفيها تيسّرت له أسباب التطوّر والرُّقيّ ، ونسألهم : أعندكم مدرسة للخطّاطين تثابر على تعليم الخطّ كالّتي عندنا ؟ أعندكم مولعون بهذه الخطوط الجميلة ؟ فاذا لم يكن عندكم شيء من هذا ، أفليس في الامكان أن يُرسَلَ الينا بضعة طلاّب ، ليتتلمذوا على بقايا أواخر الخطّاطين الأتراك ، ولم يبق منهم غير بضعة أساتذة قديرين ، ويأخذوا عنهم هذه الكتابة العربية التأريخيّة ، ليسيروا بها قُدُمًا من مرحلتها الأخيرة التي بلغتها في بغداد ؟ وما دام هذا الخطّ مستعملاً في العراق رسميًّا في الزمن الحاضر ، فلماذا لا ينشىء جهابذته ، الذين يملكون مقدرة فنّيّة عاليةً جدّاً ، مدرسةً له[1] ؟

ربما لا يكون في الإمكان دعوة أحد من هؤلاء النفر القليل ، الذين لهم شواغل عدّة في استنبول ، الى العراق ، أو قد يكون من الصعب عليهم أن يلبّوا الدعوة اذا دُعوا ، لموانع مادّيّة ومعنويّة تمنعهم . ولكن من المستطاع إيفاد بضعة فتيان موهوبين في الخطّ من

---

(١) يظهر مما ورد في أول المجلد الأول من كتاب « روضة الصفا » (المسجل برقم ٣٢٢٩ في خزانة كتب آيا صوفيا) أنه لم يكن في بغداد الى سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) ناسخ مجلد ، ولا مذهب أيضاً . وينبغي أن يكون لعدم استمرار مدرسة هذه الزخارف الجميلة في العصور المتعاقبة سبب مزعج ، يرجع الى زمن قديم جداً ، وهو أمر يؤلمني ، ولكنني أرتقب من الحوادث أن تكذب هذا الظن ، وهذا هو الذي حملني على تقديم هذا النموذج . (المؤلف)

الشبان البغداديين الى استنبول ، ليلبثوا فيها بضع سنين ، وينقلوا من بعدُ الى بغدادَ هـذا ألخطّ الّـذي بلغ أرقى الدّرجات عندنا ؟

ونحن — بهـذا ألأمل — انبعثنا الى تأليف هذه الرسالة ، وما برحنا جادّين في إعداد غيرها ، وقصدُنا أن تستعيد بغداد في ألقرن العشرين ، وهي مهد ألخطّ ألجميل ، مكانتها العظيمة القديمة فيه ، وأن يستلفت المتفنّنون الذين سينشؤون فيها أنظار العالم اليهم .

ترجمة علي بن هلال

أبي الحسن علي بن هلال ، المعروف بابن البواب ، الكاتب المشهور

إنّ أجود ما كتب في المؤلفات القديمة في عليّ بن هلال فريد زمانه ، هو ما كتبه مستقيم زاده سليمان سعد الدّين أفندي في كتابه « تحفة الخطّاطين [1] » ، وقد بحث فيه في الخطّاطين حتّى سنة ١٢٠٢ هـ (١٧٨٨ م) ، ونحن نختصر ما كتبه فيه . قال :

الأستاذ عليّ بن هلال ، بغداديّ ، اشتهر باسم « علاء الدين بن البوّاب » ، وكني بأبي الحسن . وكان أبوه يعرف بابن سرّي [2] ، وكان في دولة آل بُوَيْه بوّابًا عند ملوكهم على ما جاء في « النّجوم الزاهرة » .

وكان عليّ بن هلال يحفظ القرآن الكريم ، وقد أخذ الخطّ في حداثته من محمد بن أسد [3] ، ثمّ من محمد بن السمسمانيّ صاحب محمد بن أسد وتلميذه على قول ؛ ثمّ جمع خطوط محمّد بن مُقْلَةَ في النسخ والثلث اللذَيْن قلبهما من الخطّ الكوفيّ ، وأذهبها ، ونقّحها ، وصححها ، وروّجها ، فاستقام بفضله أسلوب ابن مُقْلَةَ من كلّ الوجوه ، وخلد اسمه ، ونال شهرة عظيمة باقية الى يوم الدّين ، حتى أطلق عليه لقب « الناقل الأوّل » . ولكنّ الحقيقة أنّ ابن مقلة ليس هو الناقل الأوّل ، وإنّما الناقل الأوّل هو الحسن البصريّ

(١) النسخة س ٣٣١ التي تبدأ بترجمة المؤلف للأستاذ ابن الأمين محمود كمال . (المؤلف)

(٢) صويولجي زاده محمد نجيب ، في كتابه « دوحة الكتاب » ، نسخة رفعة الكليسي (س ٨٢) ، وفيه عبارة يستدل منها أن أباه كان يدعى « ابن سري » (المؤلف) ، وسيأتي تحقيقه في التعليقات .

(٣) دوحة الكتاب : « يقول أستاذه عبد الله بن أسد إنه بغدادي » . (المؤلف)

الذي أخذ هذا الخطّ من عليّ بن أبي طالب على ما أوضح ذلك « مستقيم زاده » في بحثه في محمد بن الحسن بن مقلة .

وتوفّي الكاتب ببغداد [1] سنة ٤٢٣ ه (١٠٣٢ م) ، ودفن بجوار الإمام أحمد بن حنبل على ما رواه ابن خلكان وغيره ، ورثاه الشعراء . وبعض شعر مراثيه مذكور في الكتب التي تبحث في الخطّ الجميل . قال الشاعر أبو العلاء المعرّيّ :

ولاحَ هلالٌ مثل نونٍ أجادها ... بماء النضارِ الكاتبُ ابنُ هلالِ

وأراد به عليّ بن هلال .

وقال غيره :

كتاب كوَشْيِ الروض ، خطّت سطورَهُ

يَدُ ابْن هلالٍ عن فم ابْنِ هلالِ

وابن هلال الأوّلُ هو عليّ بن هلال ، وابن هلال الثاني هو الكاتب البليغ ابراهيم بن هلال الصابي .

وذكر سريّ الدين رامي التبريزيّ في قواعد اصطلاحات الفارسية في المجموعة المسماة « أنيس العُشّاق » أنّ ابن هلال شبّه صاحب العين بالنعل ، على سبيل المبالغة ، فقال :

أزْ خطّ سواد أبرو أنت بمثال ... عاجز شوَدْ ابن مقلهْ وابن هلالْ

يعني أنّ ابن مقلة وابن هلال عاجزان عن رسم مثل خط سواد الحاجب .

وقد نظم عليّ بن هلال قصيدة رائيّة جليلة ضمنها قواعد الخط ، وشرحها كثير من العلماء ؛ لأنها تشتمل على قواعد علم الخطّ . وقد ذكرها ابن خلدون في تأريخه ، وعدّتها

---

(١) ورد في « دوحة الكتاب » أنه توفي في سنة ٤١٣ ه (١٠٢٢ — ١٠٢٣ م) ، وفي « كتاب الأسامي » للمعلم ناجي أنها سنة ٤٢٣ ه (المؤلف) ، وسيأتي تحقيقه في التعليقات .

ثمانية وعشرون بيتاً ، ومطلعها :

يا مَنْ يُريدُ إجازةَ التحريرِ ويرومُ حسنَ الخطِّ والتصويرِ

وقد اشتهر عليّ هلال بـ « ابن البوّاب » ، وبـ « ابن هلال » ، وإذن فالأسماء الثلاثة ليست لأشخاص متعدّدين .

وعُدّ أكبر كتّاب الخطّ بعد ابن مقلة ، لأنّه — في حقيقة الأمر — استطاع أن يقلب الخطّ الكوفيّ بعده على وجه يسترعي الانتباه ، وأنْ يستنبط منه أسلوب الثلث والنسخ ، ويعلو بهما الى مرتقى رفيع من الكمال .

ويروى أنّه كتب أربعة وستّين مُصْحَفاً ، غير أنّنا لم نرَ شيئاً منها .

ويقول عالي في « مناقب أصحاب المواهب » (س ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٧٤) :

إنّ ابن البوّاب قد ظهر في العصر الزاهر الذي كان فيه صوت ابن سينا يدوّي في الآفاق ، وتُوُفّي ببغداد سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) . وهو يعدّه أستاذ ياقوت .

وجاء في « ميزان الخطّ على وضع أستاذ السلف » عن ابن مقلة : أنّ الأستاذ عليّ ابن هلال ، المعروف بابن البوّاب ، هو الّذي أكمل الخطّ وأتمّه ، واخترع الكتابة بأفضل أسلوب مقبول ، استناداً الى خطّ ابن مقلة .

وتدرّج خطّ عليّ بن هلال في مدارج الكمال على مرّ الأيّام ، وارتقى كثيراً من بعدُ على يد ياقوتٍ المستعصميّ . لكنّ الفرع الذي استمرّ الى القرن الخامس عشر في مصر ، متّبعاً طريقة علي بن هلال اتّباعاً تامّاً ، لم يستطع في استمراره أن يبلغ مرتبة مدرسة .

وفي خزانةَ كتب آيا صوفيا نسخة مخطوطة مرقومة بـ (٨٣٩ آ) برسم خزانة الملك الناصر ، وهي نموذج لطراز كتابة عليّ بن هلال التي استمر نمطها في مصر .

وفي خزانة كتب آيا صوفيا أيضاً ، كتاب مرقوم بـ (٢٨٤٨) يتألف من أربع وثلاثين

ورقة ، وهو من خزانة كتب أحد كبار المصريّين ، وقد جمعنا ما فيه من نقوش ، جاء في آخره حيث يطبع الخاتم :

« أحرفي الثقة الـ (١) هذا خطّ ياقوت عليه رحمة الحيّ الذي لا يموت » .

ويفهم من هذا ، ومن عبارة أخرى هي : « حقّ ياقوت » ، أنّه بخطّ ياقوت . ولكنّ النماذج التي رأيناها من نوعه في مصر ، تجعلنا نرجّح أنه جارٍ على أسلوب عليّ ٱبن هلال .

ولم تشذّ الخطوط في شمالي إفريقية وفي سورية ، حتى العصور القريبة ، عن طريقة عليّ ٱبن هلال .

وقد ٱستمرّ هذا الأسلوب ، ولم يضف اليه شيء يذكر . وفي خزائن كتبنا ، ولا سيما خزانة كتب السلطان محمود الأوّل في جامع آيا صوفيا ، أمثال كثيرة لذلك في نسخ قصيدة البُرْأة .

---

(١) هكذا أثبته المؤلف بخطه بالحروف العربية .

الخطاطون الذين تشابه أسماؤهم اسم ابن البواب

وأسماء ابن البواب

لدينا أسماء كثيرة يحتمل أنّها لابن البوّاب ، ندرجها فيما يأتي :

عليّ بن هلال .

علي بن هلل (هذا إمضاؤه) .

ابن هلال .

ابن بوّاب [1] .

علي بن هلال .

أبو الحسن عليّ .

علي بن هلال المعروف بابن بوّاب .

محمد علاء الدين بن بوّاب .

ابن سطري [2] .

حسن بهتر ومؤمن بن بوّاب عليّ بن هلال البغدادي .

---

(١) كتب المؤلف هاهنا هذا التعليق ، وموضعه فيما نرى في (ص ٦) حيث ذكر محمد بن أسد : « في خزانة كتب جامع السليمانية العامة ، قسم رئيس الكتاب مصطفى أفنـدي ، مخطوط مرقوم بـ ٩٠٤ اسمه « مراث وأشعار في غير » (هكذا كتبه المؤلف بخطه بالحروف العربية) ، ذكر فيه أنه نسخ في سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ـ٩٨١م) بخط ابن أسد شيخ ابن البواب ، ولم يحقق شخصية هذا الرجل » . (المؤلف)

(٢) هكذا كتبه المؤلف بخطه بالحروف العربية ، وسيأتي تحقيقه في التعليقات .

علي بن هلال بغدادي .

ابن بوّاب عليّ بن هلال

علاء الدين بن بوّاب .

وبين هـذه الأسماء اسم « علي بن هلل » ، وهو صيغة إمضاء ابن البوّاب . وجاءت كلمة « هلال » في شعر أبي العلاء المعرّيّ مكتوبة بصورة « هلل » . وليس من المستبعد أن تختلط بهذه الأسماء أسماء ليست له ، وكلها تحملنا على أن نعدّها ذوات صلة بعلي بن هلال ، ويجب بحثها في المستقبل بحثاً دقيقاً يزيل عنها كل التباس .

وقد دوّنّا ما وجدناه ، ليكون أساساً للبحوث المقبلة ، ولم نذكر الموارد التي نقلنا منها هذه الأسماء ، لأننا سنعرض لذلك في الفصول الأخرى .

شكل الثلث والنسخ قبل ابن البوّاب

أوّل من كتب الثلث والنسخ المعروفين الآن ، هو ابن مُقلة . ولكن عرف شكلهما الحديث هذا منذ عهد ابن البوّاب . ولم يصل الينا من القدامى سطر واحد من نفائس الخطّ ، مع أن الكتب العلمية المكتوبة بالخطّ الكوفيّ وبخطّ النسخ الأوّل المقلوب من الخطّ الكوفيّ ليست بقليلة في خزائن كتبنا ، ونحن نجهل ناسخيها ، ولم نعثر حتّى الآن على خطّ لابن مقلة بإمضائه ، أو مجرّد منه ، أو منسوب اليه .

ومراجعنا في قلم الثلث الّذي يتصل بالقلم الكوفيّ الى زمن ابن هلال ، هي من القلّة بحيث لا تنير لنا سبيل البحث ، ونماذج النسخ بالقياس الى الثّلث أوفر لدينا . والفرق بين تلك الخطوط وخطّ ابن هلال ، مع وضوحه ، ليس بالدرجة التي يميزها الذين يجهلون دقائق الخطّ الجميل .

والّذي نريد أن نقوله : إنّنا ، وإن لم نر خطّ ابن مُقلة ، يتّضح لنا ممّا في أيدينا من الخطوط أنه أعطى الخطّ — بعد الخطّ الكوفيّ — شكلاً يسترعي الانتباه ، ويحسن بنا أن نقفَ عنده .

ومن المحقق أنّ ابن مُقلة هو الّذي أحدث الانقلاب الأوّل في الخطّ ، وأوجد الثلث والنسخ اللذين حسّنهما ابن هلال من بعدُ .

ولسنا نرى في بحثنا حاجة الى الكلام على الثلث والنسخ قبل عليّ بن هلال ، وموازنة آثاره بذلك .

وثمّ حقيقة أخرى ، هي أن ابن هلال كان مسبوقاً بعدد غير قليل من الخطّاطين أمثاله . ولو أتيح لنا الظفر بخطّ منسوب الى ابن مقلة ، لاستطعنا أن نتصرف بالموازنة على وجه أتمّ . ولسنا ندري أيُتاحُ الظفر في المستقبل بخطّ لهذا الأستاذ الأوّل ؟

وإذ لم نرَ نموذجاً من خطّه ، فإنّ ما كتب عنه يبين مستبهماً كالأسطورة . وفي الحقّ أن ابن مقلة خليق بمثل هذه الأسطورة ، فالتواتر يبوّئه مقام « الفنّان » الكبير .

ترجمة ابن مقلة الذي يعد أستاذ ابن البوّاب

نترجم لهٰذا الرجل في هٰذا الموضع ، لأنه يعدّ أستاذ آبن البوّاب :

جاء في « تحفة الخطّاطين » لسليمان سعد الدين أفندي عن آبن مقلة أنه كان « مقلة حدقة الزمان ، ياقوت مَعْدِنِ العرفانِ ، مصوّر النقوش القدسيّة بالصور الرّوحانية ، ومقرّر الخطوط الهندسية بالأدوات الجسمانية ، عليه الرحمة والرضوان ما كتب القلم ، وظهر الرقم » .

وهو بغداديّ ، يكنى بأبي علي الصدر محمد بن عليّ بن حسن بن مقلة الوزير .

رغب عن عمل أبيه ، وآنصرف الى الدرس .

وذكر محمد الأبهريّ العوفيّ في رسالته في الخطّ أنّه أخذ الخطّ الجميل عن الأستاذ الأحول من تلاميذ ابراهيم السجزيّ ، فجوّده .

ويقال إنّ أوّل من بلغ بالثلث والنسخ هذا المبلغ من الكمال هو آبن مقلة . ولكنّ هذا البيت الفارسي :

دان كه واضعْ بوضعِ إينْ بابَستْ إبنِ مُقَلَهْستْ وآبنِ بوّابَسْتْ

— أي إعلم أنّ أوّل واضعٍ وضع هذا الباب ، يعني خطّ الثلث والنسخ ، آبن مقلة وآبن البوّاب — قد دلّ على خلاف ذلك ، والصحيح أنّ أوّل أستاذ نقل الخطّ من الكوفي إلى شكله الحاليّ هو آبن مقلة . أما آبن البوّاب ، فإنما جاء بعده .

على أن الناقل الأوّل للخطّ الحالي هو الحسن البصريّ من مقدّمي التابعين . وفي رواية أنه تعلّم الخطّ ممّا كتبه هٰذا الرجل ، وممّا كتب بهٰذا الأسلوب . وكان يَهَبُ خطّه تصدُّقاً ، إذ كان يعدّ رأس أساتذة الخطّ . ويروى أن رجال الدولة وأرباب المعرفة كانوا يبتاعون هذا الخطّ بأثمان عالية مبالغ فيها .

وورد في الجزء الأول من « خلاصة الأثر » : أنّ ابن مقلة هو الذي تولّى كتابة معاهدة الصلح بين المسلمين والروم « الأناضوليين » ، وقد بقيت هذه المعاهدة بأيديهم حتّى زمن الفتح ، وكانوا يرجعون اليها بين الفَيْنَةِ والفَيْنَةِ ، ليستمتعوا بالنظر اليها .

وقد تمرّس ابن مقلة بالسياسة ، فاستوزر ثلاث مرّات في أيّام الخلفاء : المقتدر بالله ، والقادر بالله [1] ، والراضي . وذهب للقتال ثلاث مرّات . وتعرض لغضب الخلفاء ثلاثَ مرّات ، فاستصفيت أمواله ، وسُجن ، وكُبِس بيته . هٰكذا قاده طالعه في السياسة الى النحس ، ولم يقف به انتسابه اليها عند هذا القدر من الويلات ، بل لقد قطعوا يده اليمنى ولسانه آخرَ الأمر ، وكأنّهم لم يكفهم هذا العقاب ، فألقوه في غيابة السجن ، ولم يجد منجى من محنته ، حتّى مات فيه سنة ٣٢٨ هـ (٩١٠ م) . ويقال أيضاً : إنّه مات قتيلاً . ويروى أنّه لمّا قطعت يد المسكين اليمنى ، صار يكتب بيده اليسرى .

* * *

ومن المحقّق أنّ ابن مقلة الذي عُدّ « إنسان عين الأعيان ، وأستاذ أساتذة الزمان ، ووزيراً ذا شان » ، كان أكبر معرفته هذا الانقلاب الّذي أحدثه في الخطّ . وهو لم يقتصر على الخطّ وحده كأمثاله من أرباب المعرفة ، بل لقد قرض الشعر أيضاً ، ومن شعره في ابن خلدون قصيدة رائيّة في الخطّ [2] .

* * *

---

(١) أنظر التعليقات .
(٢) أنظر التعليقات .

وقـــد نظمت في ٱبن مقلة قصائد كثيرة جميلة ، وكتبت رسائل عدّة في وصف جمال خطّـه .

قال أبو عبيد البكريّ يصف [خطّ] ٱبن مقلة :

خطُّ ٱبنِ مُقْلَـةَ من أرعاه مقلتَـهُ ودّتْ جوارحُـهُ لو أصبحتْ مُقَلا

وجاء عنه في شجرة الخطّ التي بين أيدينا هذا الإيضاح :

أوّل من كتب الخطّ البديع المنسوب ، أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة الوزير ، المتوفّى سنة ٣٢٨ هـ .

وكان بارعًا جدّاً في علم الهندسة ، وبهـــذا العلم ٱستطاع أن يقلب الخطّ الـكوفيّ الى الخطوط الّـتي تكتب الى الآن .

وٱسـتوزر في الدولة العبّـاسيّـة ، في عهدِ الخليفةِ محمد بن منصور القاهر بالله ، والخليفة المعتصم بالله (١) ؛ وقُتـِل شهيداً .

* * *

ويتفرّع من الحسن البصري فرعان : الأول إسحاق بن حمّـاد ، والآخر الشيخ ٱبن اسماعيل البخاري .

ويتفرّع من إسحاق بن حمّـاد : إبراهيم السنجري (٢) ، وعبد الله الأحول .

وهؤلاء الثلاثة — الشيخ ٱبن اسماعيل البخاريّ ، والأستاذ عبد الله الأحول الّـذي أخذ من إسحاق بن حمّـاد ، وابراهيم السنجري (٢) — ينتهون الى ٱبن مقلة .

وتنتهي الشجرة من ٱبن مقلة الى علي بن هلال ، والحسن بن عبد الله المرزبان ، ومحمد السمسماني ، وأبي عبدالله الحسن الفصيح .

---

(١) أنظر التعليقات .

(٢) تقدم في (ص ١٤) : « ابراهيم السجزي » .

وتتفرّع الشجرة من طريق محمد السمساني [1] الى تلميذه المشهور أسعد الله الكرماني [2] ، حتّى تنتهي الى القره حصاريّ — رحمه الله — .

ويُعَدّ أبو عبدالله الحسن الفصيح ، شقيق ٱبن مقلة ، كذلك .

كما يُعَدّ الحسن بن عبد الله المرزبان أُستاذَ ٱبن البوّاب على ما جاء في الشجرة .

* * *

ولمّا تحدث المعلّم ناجي عن إمام الخطّاطين ٱبن مقلة في (الأسامي [3]) ، قال : « بعدَ أن قاسى ٱبن مقلة ، في عهد الراضي بالله ، ما قاسى من الشدائد : من ٱبن ياقوت مدبّر أمور الخليفة ، لبعض الأسباب ، قطع ٱبن رائق — الّذي كان له نفوذ عظيم بتقلّده منصب أمير الأمراء — يده اليمنى . ثمّ — بعد هذه الحادثة — ٱعتزل في داره ، ومارس الكتابة بيده اليسرى . ثمّ أمر يحكم [4] التركي المُوالي لٱبن رائق ، فقطع لسانه ، وهكذا ٱبتلي المسكين بمصائب كثيرة » .

وكان ٱبن مقلة بليغاً . فلمّا قطعت يده ، قال هذا البيت :

إذا ما ماتَ بعضُك ، فَٱبْكِ بعضاً　　فإنّ البعض من بعضٍ قريبُ

وكان الشاعر ضريح [5] يُثني على فصاحة سَحْبان [6] ، وحكمة لُقْمانَ ، وزهد ٱبن أدهمَ ، وخطّ ٱبن مقلة ؛ ويعدّها جميعاً في مرتبة واحدة .

---

(١) ورد اسمه في شجرة خط : « محمد بن السمساني » . (المؤلف) ، أنظر التعليقات .

(٢) ورد في هذه الشجرة نفسها : « محمد بن أسد » . (المؤلف) ، أنظر التعليقات .

(٣) رسالة في التراجم ، نشرت سنة ١٣٠٨ (المؤلف) .

(٤) أنظر التعليقات .　　(٥) أنظر التعليقات .

(٦) وورد أيضاً « حسان » في كتاب مخطوط بالمكتبة السليمانية العامة ، قسم أسعد أفندي ، رقم ٣٤٦١ (المؤلف) .

تلاميذ علي بن هلال

يتبيّن من شجرة الخطّاطين أن لعليّ بن هلال تلميذين ، هما : محمّد بن عبد الملك ، والسيد قاسم .

ولكنّنا اذا نظرنا الى الزمن الذي عاش فيه محمّد بن عبد الملك ، وهو سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١) ، نستبعد أن يكون قد تتلمذ لعليّ بن هلال .

وأقحمت روايةٌ الحسنَ بن عبد الله المرزبان ـ الذي هو أستاذ ابن البوّاب ـ في عداد تلاميذه أيضاً .

ومَرَدُّ السبب في نسبة من تتلمذوا لابن البوّاب وأستاذِه الى أناس متأخرين ، الى أن الشجرات لا تحتوي على قائمة قديمة بأسمائهم يُعْتَدُّ بها .

فاذا صحّ ما تقدّم ذكره ، كان احتمال تتلمذ محمّد بن عبد الملك لابن البوّاب أمراً بعيداً .

ومن التلاميذ الذين نسبوا الى ابن البوّاب ، السيّد قاسم . ولسنا نعرف عنه شيئاً . ولكن الشجرات تذكر المنتسبين اليه على هذا النحو :

اسحاق بن خليل المكّيّ ،

وعليّ بن عبد الله البغداديّ ،

والشيخ أُوَيْس بن زَيْد ،

وطلحة بن عامر ،

والشيخ عليّ بن زيد .

وهؤلاء الرجال ، لم يثبتوا في أصل الشجرة . وإنّما ذكروا في الفروع التي لم يقدّر لها الاستمرار .

وكذلك وصلتهم الشجرات بياقوت المستعصميّ ، المتوفّى سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م) ، بحذف بعض الأسماء تارةً ، أو بسبب الجهل بالأسماء تارةً أُخرى .

ومن المحقّق أنّه نشأ في العصور الأربعة ، من زمن ابن مقلة وابن هلال الى زمن ياقوت ، طوائفُ كثيرة من الخطّاطين ، لم تذكر الكتب والتذكرات إلّا أفراداً منهم عرضاً . ومن العسير أن تؤلّف لهم شجرة كاملة ، شاملة ، قديمة الأصول .

شجرات الخط الى ياقوت المستعصمي

تنتهي الشجرة الّتي في حيازتنا الى عليّ بن أبي طالب ، ومنه أخـذ الحسن البصريُّ الخطَّ . وفي بعض الروايات أنّه هو الذي قلب القلم الكوفيَّ الى قلم النسخ وقلم الثّلث . ولٰكن ، يقال : إنّ التطوّر الكامل إنّما أتمّه ابن مقلة .

ثم جاء إسحاق بن حمّاد ، وعنه أخذ الأستاذ عبد الله الأحول وإبراهيم السنجري [1] .

ومن هٰذين انتقل الخطّ الى أبي عليّ محمّد بن مقلة الوزير ، الّذي يُعَدّ مبدع الأقلام الستة . وقد كان ضليعاً في علم الهندسة ، وبه قلب القلم الكوفيّ الى الأقلام المستعملة في زماننا . وقد استوزر في عهد الخليفة العبّاسيّ محمد بن منصور القاهر بالله ، والخليفة المعتصم بالله . ويذكر أنّه قتل شهيداً في سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠) .

ويأتي في الشجرة — بعد ابن مقلة — ابنُ البوّاب عليُّ بن هلال ، ثمّ قبلة الكتّاب الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصميّ الطّواشي البغداديّ ابن عبد الله ، وعبدالله الصيرفيّ .

ويذكر — غير هؤلاء — الحسن بن عبد الله المرزبان أستاذ ابن البوّاب .

وثَمَّ شجرات للخطّ كثيرة ، تتسلسل فيها الأسماء على هٰذا النّسق ، ونستطيع أن نستوحي منها رسم أصل الشجرة كما يأتي :

عليّ بن أبي طالب ،

---

(١) أنظر ص ١٤ و ١٦ ، والتعليقات .

الحسن البصريّ ،

إسحاق بن حمّاد ،

ابراهيم السنجريّ [1] ،

ابن مقلة محمد بن عليّ الوزير [2] ،

حسن بن بهتر ومؤمن بن البوّاب عليّ بن هلال البغداديّ [3] ،

قبلة الكتاب ياقوت المستعصميّ الطواشي البغداديّ ابن عبد الله ،

عبد الله الصيرفيّ ،

خير الدين المرعشيّ .

والشجرة التي تتفرع فروعها وتمتدّ بعد ياقوت ، معروفة حتّى زماننا ، فلم نخُصّها هنا بالذكر .

وبين ياقوت المستعصميّ و ابن هلال ، مدّة تقرب من ثلاثة قرون .

والأساتذة الذين نشؤوا في هٰذه المدّة ، لم يسلكوا منهم في هذه السلسلة إلّا الأكابر المشهورين ، فقد جعلهم المعنيّون بالشجرات أساساً لبحوثهم .

(١) أنظر ص ١٤ و ١٦ ، والتعليقات .
(٢) بينهما خطاط آخر (ابن خلكان) — المؤلف —
(٣) أنظر التعليقات .

الأماكن التي وجدت فيها خطوط علي بن هلال

في خزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراي طوپ قپو ، شعر سلامة مرقوم بـ (١٢٥) ، يستهل الكلام فيه بالبسملة ، وبقول « قال سلامة بن جندل » ، ويقرأ في ختامه إمضاء علي بن هلال بخطه مكتوباً بماء الذهب ومؤرخاً بشهر رمضان سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) .

* * *

وفي خزانة كتب الأوقاف بمتحف الآثار التركية الإسلامية (كتاب بزوغ الهلال) لأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور بخطه ، مؤرخاً بسنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ومرقوماً بـ (٢٠١٥) .

* * *

وفي خزانة كتب آيا صوفيا ، مجموعة في الآداب والحكم مرقومة بـ (٢١٢٠) ، جاء في أولها : « قلم الثلث طريقة الأستاذ الجليل علي بن هلال المعروف بابن البواب » .

* * *

وفي خزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراي طوپ قپو (KN ٧٠) ، صفحتان من الخط بـ « قلم الطومار طريقة الأستاذ علي بن هلال » .

إمضاءات علي بن هلال

* كتبه عليّ بن هلال حامداً لله تعالى على نعمه ومصلّياً على نبيّه محمّد وآله وعترته .

* كتبه عليّ بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مايه حامداً لله ومصلّياً على نبيّه محمّد وآله .

* كتبه عليّ بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مايه حامداً لله على نعمه ومصلّياً على نبيّه محمد وآله .

* عليّ بن هلال المعروف بابن البوّاب .

ماهية الآثار
التي كتبها علي بن هلال وأوصافها

— ١ —

وجـــدنا ، ونحن نتصفح كتب خزانة آيا صوفيا كتاباً كتاباً ــ بين سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٢ م ــ بحثاً في الآداب والحكم في مجموعة مرقومـــة بـ (٢١٢٠) ، كتب على ظهرها اسمه داخل قطع ناقص دقيق جميل ، وتحته هذه العبارة :

قلم الثلث

طريقة الأستاذ الجليل

عليّ بن هلال المعروف

بابن البوّاب

رحمه الله

وعلى يمين هذه الكتابة ختم بايزيد الثاني .

ومن المحتمل جدّاً أن تكون هذه المجموعة من كتب خزانة السلطان محمّــد الفاتح ، ثمّ انتقلت الى ابنه بايزيد . وقد دُوّن في ظهرها وفي حواشيها كثير من التعليقات .

وهذه الرسالة من القطع الصغير ، تتألّف من سبع صفحات بقلم الثلث ، وهي كلّها من كلمات عليّ بن أبي طالب .

الورقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

١) رحم الله آمرءاً عرف قدره ، ولم يتعدَّ طوره .

٢) إعادةُ الآعتذار تذكيرٌ بالذنب .

٣) لا ظهير كالمشاورة .

٤) النصح بين الملأ تقريع .

٥) اذا تمّ العقل نقص الكلام .

٦) لا كرمَ أعزّ من التُّقَى (١) .

٧) من كثر مزاحه (٢) ، لم يخل من حقدٍ عليه و آستخفاف به .

الورقة الثالثة

١) كفى بالظَّفَر شفيعاً للمذنب .

٢) ظنّ المؤمن كهانة .

٣) من نظر آعتبر .

٤) من لانت أسافله ، صعُبت أعاليه .

٥) الشرّ جامع لمساوىء الأخلاق .

٦) رُبَّ رجاءٍ يؤول الى الحرمان .

الورقة الرابعة

١) في كل جرعة (٣) ، شَرْقة .

---

(١) كتبت في الأصل المخطوط : « التقا » . (٢) هذه الجملة هي آخر المكتوب في الورقة الثانية .
(٣) هذه الجملة هي آخر المكتوب في الورقة الثالثة .

٢) أكرم الحسب حسن الخلق .

٣) أكرم النسب حسن الأدب .

٤) أوحش الوحشة العجب .

٥) أفقر الفقر الحمق .

٦) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع .

٧) الطامع تحت وَثاق الذلّ [1] .

٨) من أبدى صفحته للحق ، هلك .

الورقة الخامسة

١) اذا أملقتم ، فتاجروا الله بالصدقة [2] .

وقد تبيّنّا ـ ممّا كتب في ظهر هذه الصفحات السبع ـ أنّ كاتبها هو عليّ بن هلال ، وإمضاؤه ، وإن لم يكن موجوداً تحته ، يماثل خطّه أسلوبه ، والشهادة التي وردت في المقدّمة تظهر كأنّها صحيحة .

وفي الحواشي تعليقات كثيرة على كلمات عليّ بن أبي طالب هذه ، غير أنّنا لم نترجمها .

— ٢ —

شعر سلامة [3]

وفي خزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراي طوپ قپو ، مخطوط مرقوم بـ (١٢٥) ، أبعاده (٣٢ × ٥/٤٢) ، وعنوانه شعر سلامة [3] ، جاء في أوّله :

فيه شعر سلامة بن جندل السعديّ

عن أبي سعيد الأصمعيّ

---

(١) أغفل المؤلف هذه الحكمة فيما ترجمه من ذلك الى التركية ، وقد نقلناها من الأصل العربي .

(٢) أغفل المؤلف قول الكاتب بعد هذه الحكمة في الأصل العربي : « الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً » .

(٣) عند المؤلف : « سلامية » .

ونفس الرواية عن أبي عمرو الشيباني (١) ، وقرىء (٢) على عمارة
رواية أبي العبّاس (٣) محمّد بن الحسين بن دينار الأحول (٤)

واستهلّ الكلام فيه بعد البسملة بـ « قال سلامة بن جندل » ، وفي آخره بالذهب :

كتبه عليّ بن هلل في شهر رمضان من سنة ثمان
وأربع مايه (٥) حامداً لله ومصلّياً على نبيّه محمّد وآله

وكُتب في كل صفحة من الصفحات الثلاث ثلاثة أسطر بقلم الثلث ، وكتب بينها تعليقات بقلم النسخ .

وهي من أكثر ما عُنِيَ به من المُذْهَبات من آثار العصر العبّاسيّ ببغداد . وفي أوّلها نقوش نموذجيّة ، ولها جلد في غاية النفاسة ، صُنع في ذلك العهد .

وفي متحف الآثار التركية الإسلامية ، نسخة أخرى من هذا الأثر الذي كتب في شهر رمضان من سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ، كتبت بنمط آخر ، وأرّخت بالتأريخ نفسه .

ولعليّ بن هلال نسختان أخريان من هذا الأثر ، كتبهما في شهر رمضان من سنة ٤٠٨ هـ أيضاً . وكلاهما في استنبول . لهما جلدان في غاية النفاسة ، لا نريد أن نتبسّط في تفصيلاتها . وأسلوب تذهيبهما رائع جدّاً ، وقد أبنّا دقائقه في موضع آخر .

وفي أوّل هذه النسخة ختم السلطان سليم الأوّل ، وقد كتبت فيه هذه العبارة : « توكل (٦) على خالقي » أربع مرّات بطريقة فنّيّة .

ويظهر منه أنّ هذه النسخة كانت من مُقْتَنَياته الخاصة .

— ٣ —

مجموعة قصائد لشعراء عديدين

شعر سلامة بن جندل

في خزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراي طوپ قپو ، نسخة أخرى من شعر سلامة ،

(١) في نسخة المؤلف : « الشيباي » . (٢) في نسخة المؤلف : « وقرر » .
(٣) في نسخة المؤلف : « رواية أبي العباس » . (٤) في نسخة المؤلف : « الأصول » .
(٥) كذا بخط ابن البواب . (٦) كذا نقله المؤلف ، والظاهر : « توكلت » .

مرقومـــة بـ (١٢٥) وهي الآن في خزانة كتب الآثار التركية الإسلامية ، مرقومة بـ (٢٠١٥) ، ومعروضة في بهو الخطوط في خزانة من زجاج . أبعادها ٢٨٫٥ × ٢٨ .

وهي تتألـف من ستّ صفحات ونصف صفحة ، ثخينـة الآخر ، حجمها ٢٢ × ٣٠ .
وقد كتب في كلّ صفحة منها ثلاثة أسطر بقلم الثلث ، حشيت بأسطر قصار مختلفة بقلم النسخ ، وكتبت قصائدها ــ المنتهية بالقاف ــ بالحمرة ، وتخللتها أزهار منقوشة .

وهي مخرومة من أوّلها ، وفي آخرها اسم كاتبها كما يأتي :

« كتبه عليّ بن هلل في شهر رمضان من سنة ثمان
وأربع مايئـهٍ حامـداً لله على نعمه ومصلّياً على نبيّـه محمّـد وآله

ومن المؤسف أنّ الصفحة الأولى من المجموعة قد سقطت منها . ولـكنّ القصائد المنتهية بالباء واللام والقاف موجودة فيها . وفي ختام النسخة يعطينا أمثلة ، كقوله : « قال سلامة بن جندل » .

ونحن نعتقد أن تذهيبها هو من صُنع ذلك الزمان ببغداد . وقد كتبها عليّ بن هلال في شهر رمضان من سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) .

وفي أوّل المجموعة ، كتاب (بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال) . وقد كتب في أوّله أنّـه نسخ برسم خزانة كتب الملك الأشرف أبي النصر قايتباي ، وكتب في الوسط : أنّ رسالةَ

وجه على ترتيب حروف الهجاء وأبيات عربية [1]

ــ التي نقلها الخطّـاط يوسف شاه الهروي عن سلطان الـكتّـاب ياقوت ، طيّب الله مرقده ، في زمان مجهول ــ موجودةٌ . وقـد ختمت في أوّلها وآخرها بختم بايزيد الثاني ، وكتب فيها بخطّـه اسم الرسالة التي تبدأ بعبارة : رسالهٔ صد كلمات ...

---

(١) كذا بخط المؤلف .

والكتب والآثار التي ختمها السلطان بايزيد الثاني بختمه ، هي مما احتوت عليه خزانة كتب السلطان محمّد الفاتح الخاصّة .

وقد جلّدت الثلاثة بجلد واحد في زمانه أو بعده ، ونحن نعدّها منقولة من خزانة كتب الفاتح .

— ٤ —

[رسالة[1]] الجاحظ في مدح الكتب والحث[2] على جمعها

كتب هذه الرسالة عليّ بن هلال . وهي في ٢٦ ورقة ثخينة قليلاً ، أبعادها (١٧ × ٢٥) ، تضرب الى الصفرة والى الخضرة الكدرة . وقد كتبت الكتابة في وسطها بقلم الثلث بالأحمر ، بأبعاد (١٠ر٥ × ١٨) ، ولم تجدول صفحاتها .

وهي الآن في خزانة متحف الآثار التركية الإسلاميّة ، مرقومة بـ (٢٠١٤) ، ومعروضة في بهو الخطوط في خزانة من زجاج .

وآسم الرسالة : « رسالة أبي عثمان عمرو[3] بن بحر الجاحظ في مدح الكتب والحثّ[4] على جمعها » .

وهي تبدأ بعد البسملة بقوله : « وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لعائب عليه كتبَهُ : عِبْتَ الكتاب » ، وتنتهي بقوله : « كتبه عليّ بن هلل حامداً لله تعالى على نعمه ومصلّياً على نبيّه محمّد وآله وعترته » ، لكنّها خلت من تأريخ كتابتها .

وقد ألحقت بآخرها ترجمة الكاتب أبي الحسن عليّ بن هلال المعروف بآبن البوّاب الكاتب المشهور ، نقلاً من (وَفَيات الأعيان) للقاضي شمس الدين آبن خلكان .

---

(١) الزيادة منا . (٢) في الأصل : « الحب » .
(٣) في الأصل : « عمر » .
(٤) في الأصل : « والحب » .

وكانت قبل أن تنقل الى خزانة المتحف — التي هي فيها الآن — في خزانة كتب أبي بكر بن رستم الشيرواني الغنيّة ، وكان من رجال الدولة في عهد السلطان أحمد الثالث ، بعد أن تداولتها أيد كثيرة . وممّن ملكها في القديم خليل بن أيبك الصّفديّ .

— ٥ —

القرآن الكريم المؤرخ بـ ٤٠١

في متحف الآثار التركيّة الإسلاميّة ، قرآن كريم مرقوم بـ (٤٤٩) ، يقال إنّ أبا القاسم عليّ بن هلال البغداديّ كتبه في سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠ م) ببغداد مدينة السلام [١] . ولكنّ الإمضاء ليس بإمضاء عليّ بن هلال ، بل هو إمضاء عليّ آخر ، نسب الى ابن هلال من بعدُ ؛ لأنّ « أبا القاسم » ليس بكنية لعليّ بن هلال ، إنّما كنيته هي « أبو الحسن » كما هو معروف ، وقد ذكرنا ذلك في ترجمته .

— ٦ —

كتابة أخرى لعلي بن هلال

في خزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراى طوپ قپو ، كتابة مرقومة بـ (٧٠) ، في صحفتين أبعادها ٢٢ × ٣٢ ، تنسب الى عليّ بن هلال . وهي من خزانة جنبلاط الملكي الأشرفيّ بمصر . كتب في أعلاها : « قلم الطومار طريقة الأستاذ عليّ بن هلل » تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته [٣] ، وذهبت حافتها .

وفي أولى هاتين الصفحتين المنسوبتين اليه بعد وفاته ، كتب بقلم الثلث الجليّ : « بسم الله » ، وفوقها بالذهب من اليمين : « إنّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وإنَّهُ » ، ومن الشمال : « الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » . وبذلك تمّت الآية [٢] . وكتبت عبارة « بسم الله » الجليّة

---

(١) في الأصل : « بغداد دار السلام » .
(٢) في الأصل : « البسملة » .
(٣) هذه الجملة الدعائية من المؤلف .

بالحبر الأسود ، وجعلت لها حافة دقيقة بالذهب ، وزيّن الفراغ بين الكلمات بزخارف كبيرة وصغيرة منقوشة بالحبر الأسود على ورق من الذهب ، ملصق ، وملوّن بألوان خفيفة .

وفي الصفحة الثانية : « خشية الله » بقلم الثلث الجليّ ، وكتب في طرفيها بقلم الثلث المَوشِيّ : « قال عليه السلام » « رأس كلّ حكمة » . وهما مع « خشية الله » ، تكوّنان حديثَ : « قال عليه السلامُ : خشيةُ اللهِ رأسُ كلّ حكمة » ، ومُلِيء الفراغ بين الكلمات بزخارف كما في الصفحة السابقة . واذا استثنينا هاتين الصفحتين ، فالكتابات الأخرى في المخطوط ليست لعليّ بن هلال .

ولكنّ طريقة عليّ بن هلال ، كتبت في مصر حتّى في عصورها المتعاقبة ، لم يستأن فيها ، ولم تصحّح . وهي — الى حدٍّ ما — مقروءة ، وجميلة . وقد كتبت من غير أن ترَى حاجة الى تعديلها .

والآثار المخطوطة بغلظِ قلمِ « عليّ بن هلال » الثلثِ ، الّتي تذكرنا بأسلوبه عينه ، ليست قليلة بين الآثار المستنسخة في مصر .

— ٧ —

أنواع الخطوط التى كتبها ابن هلال

وتعريف حروف الثلث

في خزانة أبهاء متحف سراي طوپْ قَپُو ، مخطوط مرقوم بـ (٦٠٩) ، كتب فيه تحت عبارةِ — قلم المسلسل والغبار طريقة الأستاذ ابن البوّاب — بسملتان : إحداهما كبيرة ، والأخرى صغيرة بالغبار ، أعني بالقلم الدقيق . وقد وُحّدَ فيهما الألف واللام ، وكُتبا موصولين متداخلين ، وكتب في السطر الثالث — في الأسفل — بقلم الثلث موصولاً أيضاً ، كما كتب الحديث الشريف [١] في السطر الرابع كتابةً صغيرة بالقلم الدقيق .

* * *

(١) أنظر التعليقات .

هل كتب عليّ بن هلال « ابن البوّاب » نفسه هـذه الـكتابات ؟ لا نقطع بذلك ، لـكنْ يبدو على كلّ حال أنّها جارية على طريقته .

وفي الصّفَحات الثلاث المتعاقبة ، نشاهد كيفية استنباط حروف الثلث بعضها من بعض كما جاءت تعريفاتها بعد هذه العبارة :

تصاوير الأحرف طريقة الأستاذ

الـكبير أستاذ هذه الصناعة وبركة

الجماعة عليّ بن هلال سامحه

ذو الجلال

وهي :

يستنبط من الـ (ا) (لا) ، ومن تحت الـ (ا) (ل) ، ومن رأسه يستخرج الـ (ب) .

ويتكوّن حرف الـ (ح) من امتداد الـ (ا) ، ومن رأس الـ (ب) رأس الـ (ا) ورأس الـ (ص) ، ومن وسطه كأس الـ (ص) ... ومن امتداد الـ (ب) غير ذات الرأس الـ (س) ...

ويستخرج من رأس الـ (ج) الـ (ر) ، ومن رأس الـ (د) رأس الـ (ك) ..

ومن الـ (ر) الـ (ص) والـ (ط) ...

ومن تحت رأس الـ (ف) الـ (و) .

وهٰذه الأصول قد علّمت العارفين بأساس هذه الـكتابة استخراجَ الحروف الأخرى بعضها من بعض ، وأفهمتهم جميع ما حوته من أشكال .

وهٰذه الصفحات الأربع أصولها مماثلة لغيرها .

وبهذه الصورة وضّح عليّ بن هلال ، بما حباه الله من مواهب ، أصول قلم الثلث بهذه الرسوم البيانيّة ، متّبعاً طريقة ابن مقلة ناقل القلم الكوفيّ الى قلم الثلث .

— ٨ —

لدى بهاء أرسين ، المعروف بمجموعته التي تتألّف من خطوط قديمة جيّدة ، رسالةُ : (دعاء روي عن زيد بن ثابت) بخطّ عليّ بن هلال . وهي مكتوبة في ورق قديم ، وتتألّف من ٢٧ صفحة ، في كلّ صفحة أربعة أسطر ، وأبعاد الصفحة ١٤ × ١٩ ، وأبعاد الكتابة ٥ر١١ × ١٣ . ولها جلد من صنع ذلك العهد ، زخرف داخله بقوالب محماة تسترعي نقطها الانتباه .

وفي وسط ظهر الجلد ، وهو مذهب بطريقة العهد العبّاسيّ ، تقرأ هذه العبارة :

هذا دعاء [1] روي عن زيد بن ثابت

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم

دعا به

وأمره أن يتعاهده ويتعاهد به أهله كلّ يوم [2]

والدعاء الّذي يبدأ بـ « بسم الله الرحمٰن الرحيم . لَبَّيْكَ اللّهُمَّ لَبَّيْكَ .. » ، ينتهي بعبارة : « من الجنة في سبلك » .

وجاء إمضاء الكاتب كما يأتي :

كتبه عليّ بن هلل حامداً لله تعالى على نعمه ومصلّياً على نبيّه

محمّد وآله وحسبنا الله ونعم الوكيل

(١) كتبه المؤلف بالحروف العربية هكذا : « هذه دعا ... » .

(٢) كتبه المؤلف بالحروف العربية هكذا : « وأمره أن تبعا هذه وتبعا هدية أهله كل يوم » .

زخارف العهد العباسي في القرن الحادي عشر

للزخارف الإسلاميّة ، في العهد العبّاسي ببغداد ، خصائص تُعرَف بها ، على توافر كثير من أشباهها . وفي الحقّ أنّ في دنيا المسلمين طابعاً عبّاسيّاً ، لا يقتصر على الكتابة وحدها ، بل يظهر في الزخرفة والرسم أيضاً ، وقد بلغ مبلغاً من الكمال يستوقف النظر .

وليس في الإمكان حصر تفرّعات الزخرفة ، لكثرة ما رأينا من آثارها . ولكنّ هٰذه الآثار اذا شوهدت في مواضعها ، ازداد إمكان معرفتها أينما شوهدت .

وموضوع هذه الدراسة ، وإن كان يستهدف كتابات عليّ بن هلال ، ليس في الإمكان أن تفصل عنه هنا الزخارف التي صنعت في زمانه وكانت موجودة يومئذٍ ؛ لأنّ هذه الزخارف قديمةٌ قِدَمَ الخطّ ، ثمّ هي الى ذلك نماذج رائعة من فنون الصّناعة في عهد الدولة العبّاسيّة .

وأصول هذه الزخارف ، لم يكن « الفنّانون » — الذين كانوا يستطيعون تفهّم حقيقتها في عهد السلاجقة — ليرغبوا فيها . وشاهد ذٰلك أنّ الزخارف السلجوقيّة ، ولا سيّما ما صنعه السلاجقة الأتراك في الأناضول ، كانت ذات خصائص جذّابة متميّزة تميّزاً يسترعي أدقّ الانتباه . وإنّا لنجد أقدم نماذجها وأكملها في العهد العبّاسيّ ببغداد .

ولقد تساءل هُواةُ الفنّ : أيّ الأمم سبقت الى صنع هذه الآثار ؟ ووازنوا بينها وبين آثار فنّيّة لأمم أخرى موازنةً خاطئة أحيانًا ، فانتهوا بذلك الى سلوك نهج منحرف . وقد يكون هنالك من وقفوا على صلة هذه الزخارف بزخارف آسية الوسطى وإقليم الخطا التركيّ ، وربّما وجدت أشياء متشابهة في كليهما أيضاً .

ولـكنّ ذلك ينبغي أن يجنّبنا عقد مثل هـذه الموازنات ؛ لأنّ هذه الموازنات آلت بأصحابها ، في بعض الأحيان ، الى استنباط أحكام ضالّـة ، تسرّبت الى المؤلّـفات الخاصّة بتأريخ الفنّ ، وليس في الإمكان اعتداد هذا الأمر صحيحاً .

والذين يعطون أنفسهم حقّ القيام بذلك ، ليسوا في الأصل ممن عُنُوا بتفاصيل هذه الأعمال الفنّيّة .

كما أنّ من العسير تعيين الشواهد التي تهديهم الى مثل هذه الموازنات ؛ لأن السبيل التي سلكوها منحرفة .

ولذلك ترانـا لا نقدم على عقد مثل هذه الموازنة ، مع استطاعتنا تركيب أشكال حديثة منتزَعة من أصولها . ذلك أنّ محاولة عقد مثل هذه الموازنات إنّما مَرَدُّها الى الجهل ، ومن هنا كان إحجامنا عن القيام بها .

وأقوم السُبُل عندنا أن نقول إنّ هذا الأثر قد وجد ببغدادَ في أثناء ذلك القرن ، وها هي ذي تفصيلاته .

ونكتفي بتقديم هذا القدر حصراً ، ولا ينبغي لنا أن نطلق القلم باسم حرّيّة العلم الى مدى أبعد .

ولهذا رأينا أن نكتفي بإظهار هذه الزخارف المتناهية في الجودة ، من غير أن نلجأ الى التعليق عليها واصطناع المَصدر لها والبحث عن منشئها .

وهي تعطينا صوراً للطريقـة التي يجب أن تتّبع في الزخارف اليوم ، بشرط ألّا تقلّد هذه الصور . ونحن نعدّ أنفسنا سعداء اذا استطعنا أن نضمن هٰذه الفائدة .

وهٰذه الزخارف ، هي اليوم أكمل نماذج العهد العبّاسيّ في تأريخ بغداد . وهي من الموضوعات التي تستوقف الباحث أيّاماً ، وسوف يهيّئنا تكاثر عددها للاندفاع في انتهاج خطّة قويمة لبحثها في مؤتنَف الأيّام .

جلود الكتب في العهد العبّاسي

في خزائن كتب آستنبول ، كتب كثيرة لها أثر ذو شأن في حاضر تأريخ الدول الاسلاميّة المجاورة ، عدا ما فيها من آثار تتّصل بتأريخنا العلميّ والفنّيّ ، خلفها السلاجقة وحدهم ، وبقيت الى هذا اليوم . وقد رأينا بين هٰذه الآثار جلوداً من العهد العبّاسيّ .

ولا ريب أنّنا لم نستطع أن نراها كلّها ، غير أنّنا رأينا — فيما وصلت اليه أيدينا منها — ما يسترعي غاية الانتباه .

وواحد منها في خزانة قصر بغداد في متحف سراي طوپ قپو مرقوم بـ ١٢٥ ، وهو جلد مخطوطة « شعر سلامة [١] » الّتي ذكرناها في غير هذا المكان ، وقد كتب المتن عليُّ بن هلال . وتذهيبه — على ما سأكتبه في قسم آخر — نموذج رائع مما صنع في بغداد على عهده .

ولقد أطلنا الوقوف عند هذا الجلد ، وأنعمنا النظر فيه ، فاذا تصويره لا يعطينا فكرة عن نوعه إلّا بصعوبة . لكنّ نموذجه الذي نقلناه عنه بالرسم [٢] ، يرينا أنّه نتاج فنّ رفيع بالغ الكمال ، ونقوشه المتشابكة خارقة للعادة بجمالها .

أمّا الروميّات [٣] التي تتخلّله ، فجمالها منقطع النظير .

---

(١) أنظر التعليقات . (٢) سيأتي في النماذج في آخر الرسالة . (٣) أنظر التعليقات .

والجلود الأخرى ، التي رأيناها ، لا نذكرها هنا .

وقد ٱستثنينا هذا الجلد من هذا القسم ؛ لأنّ فيه خطّ عليّ بن هلال خاصّة . ونحن نستطيع أن نقول إنّ هٰذا الجلد البغداديّ هو أجمل ما رأينا من تلك الجلود على الإطلاق . وممّا يزيد في قيمته كثيراً أنّه من مصنوعات سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧) . وهٰكذا عرفنا مكان صنعه وتأريخه من جهة ، وزاد قيمته أيضاً أنّه مصنوع في بغداد قبل ٩٣٥ سنة من جهة أخرى .

ولن أبحث في هذا المكان ، في فنّ صناعة هذا الجلد ، المعروف ، فهو لا يمتاز بفروق كبيرة عن الجلود المصنوعة صنعاً ٱعتيادياً في العصور المتعاقبة . إلّا أن أسلوب التزيين فيه يسترعي الانتباه ، ونستطيع أن نتّخذه أعلى مثال لجلود الكتب الّتي تعدّ من الصّناعات الدقيقة ببغداد في العهد العبّاسيّ ، وهو يظهرنا على ما بلغته الصّناعة من الكمال .

(انتهى)

نماذج من خط ابن البواب

ونقـــوش عبّاسيّـــة

الأمكنة التي وجدت فيها هذه الخطوط والزخارف

١) بسم الله الرحمن الرحيم

(منقولة من نسخة « شعر سلامة بن جندل » ، وهي في خزانـة كتب قصر بغـداد في متحف سراي طوب قبو في استنبول ، رقمها ١٢٥) .

٢) أ — كتبه عليّ بنُ هلٰل — من سنة ثمان وأربع مايئه

(منقولة من نسخة « شعر سلامة بن جندل » المذكورة) .

ب — اللوح

(هو تتمة إمضاء علي بن هلال وتاريخه المذكورين) .

٣) ألواح من مجموعة الحكم والآداب

(من مجموعة مرقومة بـ ٢١٢٠ في خزانة كتب آيا صوفيا في استنبول) .

٤) دعاء روي عن زيد بن ثابت ، وإمضاء ابن البوّاب ، وجلد النسخة

(من رسالة محفوظة عند بهاء أرسين) .

٥) بسملة بقلم الطّومار طريقة الأستاذ عليّ بن هلٰل

٦) خشية الله

(من خزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراي طوب قبو ، الرقم ٧٠) .

٧) قلم المسلسل والغبار طريقة ابن البوّاب ، وتصاوير الحروف طريقته أيضاً ، وقلم الثلث

(من نسخة مرقومة بـ ٦٠٩ في خزانة أبهاء متحف سراي طوب قبو) .

٨) صور جلود كتب وزخارف بغداديّة عبّاسيّة

(من نسخة « شعر سلامة » مرقومة بـ ١٢٥ في خزانة قصر بغداد في متحف سراي طوب قبو) .

٩) مثالان من الزخارف العبّاسيّة

(من المخطوط السابق) .

مستدرك

أحصى المؤلّف في هذه الرسالة أربعة إمضاءات لآبن البوّاب ، أوردهـا في (ص ٢٣) تحت عنوان (إمضاءات عليّ بن هلال) ذاكراً في الحاشية مواطنها . وقد سقطت من الطبع سهواً ، فلزم إثباتها :

١) علق في الحاشية على الإمضـاء الأول : « متحف الآثار التركيّة الإسلاميّة ، الرقم ٢٠١٤ » . وكان مكان « عترته » في الإمضاء كلمة « غيره » ، فصحّحتها .

٢) وعلق على الإمضاء الثاني : « خزانة كتب قصر بغداد في متحف سراي طوپ قپو ، الرقم ١٢٥ « أشعار سلامة بن جندل » ، في نهايتها إمضاؤه بالذهب في إطار مذهب » .

٣) وعلق على الإمضاء الثالث : « متحف الآثار التركية الإسلامية ، الرقم ٢٠١٥ ، وقد كتب عليه أن الرقم القديم ١٦١٥ ، غير أنّ الكتاب المرقم بهذا الرقم هو كتاب آخر ، وقد خرمت من أول الكتاب بعض أوراقه ، وهي القسم الذي كتبه عليّ بن هلال » .

٤) وعلق على الإمضاء الرابع : « خزانة كتب آيا صوفيا ، الرقم ٢١٢٠ (رسالة الآداب والحكم) . جاء في أوّلها : « قلم الثلث طريقة الأستاذ الجليل ... » . وقد ترحّم عليه الكاتب ، وعرف آسمه بإمضاء ليس له » .

المباحث

مقدمة المترجم — ج

المقدّمة — مع علماء بغداد و « فنّانيها » — ٣

ترجمة عليّ بن هلال — ٦

الخطّاطون الذين تشابه أسماؤهم اسم ابن البواب ، وأسماء ابن البوّاب — ١٠

شكل الثلث والنسخ قبل ابن البوّاب — ١٢

ترجمة ابن مقلة الذي يعدّ أستاذ ابن البوّاب — ١٤

تلاميذ عليّ بن هلال — ١٨

شجرات الخطّ الى ياقوت المستعصميّ — ٢٠

الأماكن التي وجدت فيها خطوط ابن البوّاب — ٢٢

إمضاءات عليّ بن هلال — ٢٣

ماهيّة الآثار التي كتبها عليّ بن هلال وأوصافها — ٢٤

زخارف العهد العبّاسيّ في القرن الحادي عشر — ٣٤

جلود الكتب في العهد العبّاسيّ — ٣٦

نماذج من خط ابن البوّاب ، وزخارف عبّاسيّة — ٣٩

فهرست الأمكنة التي وجدت فيها هذه الخطوط والزخارف — ٤١

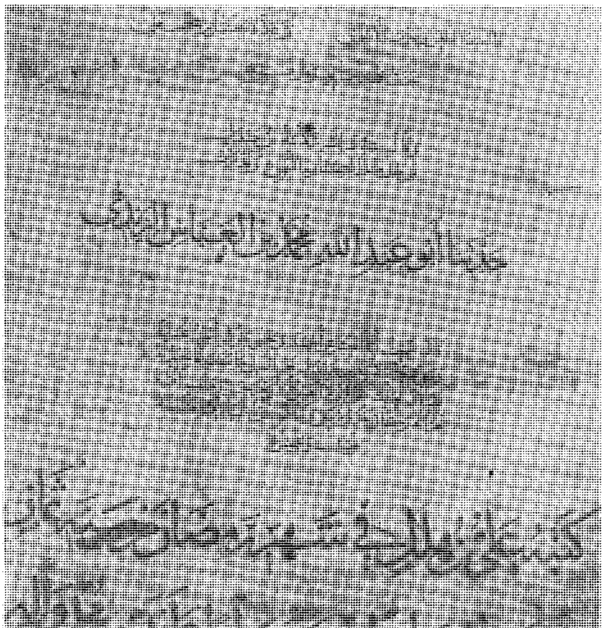
مستدرك على إمضاءات عليّ بن هلال — ٤٢

فهرست الكتاب — ٤٣

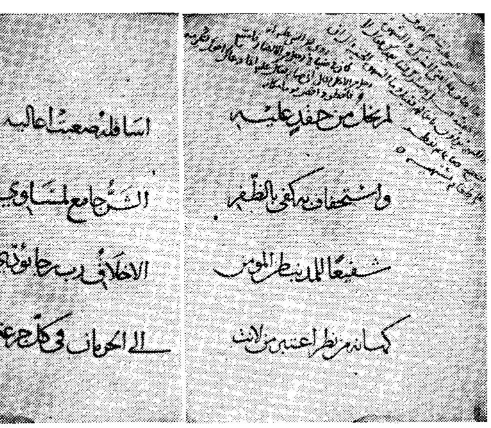


كتبه علي بن هلال

في سنة ثمان وأربع مائة

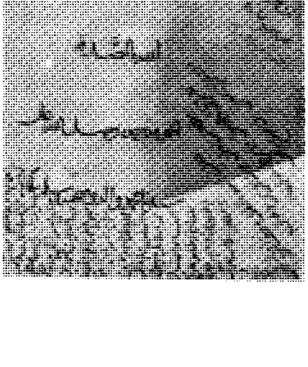


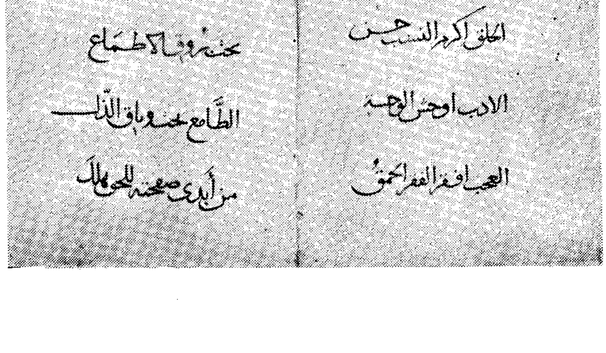



لم تخل من حقد عليه
واستخفافه بكفى بالظلم
شفيعا للمدين بظلم المؤمن
كما انه من نظر اعتنى من لانت

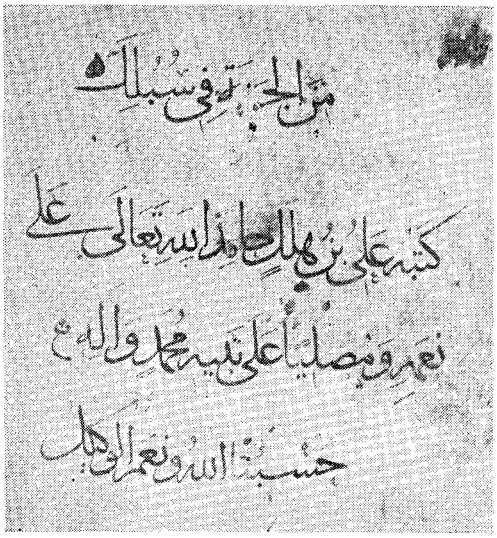
اسا فله صعبا عاليه
الشرح جامع لمساوي
الاخلاق ورب حانوته
الى الحيوان في كل

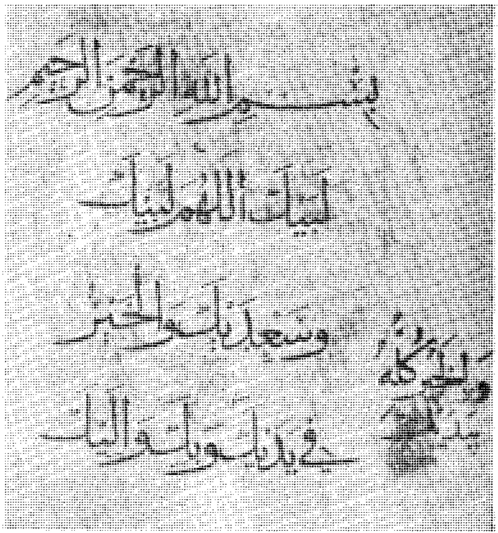





شر ما اكرم الحسب حسن
الخلق اكرم النسب حسن
الادب اوحش الوحشة
العجب افقر الفقر الحمق

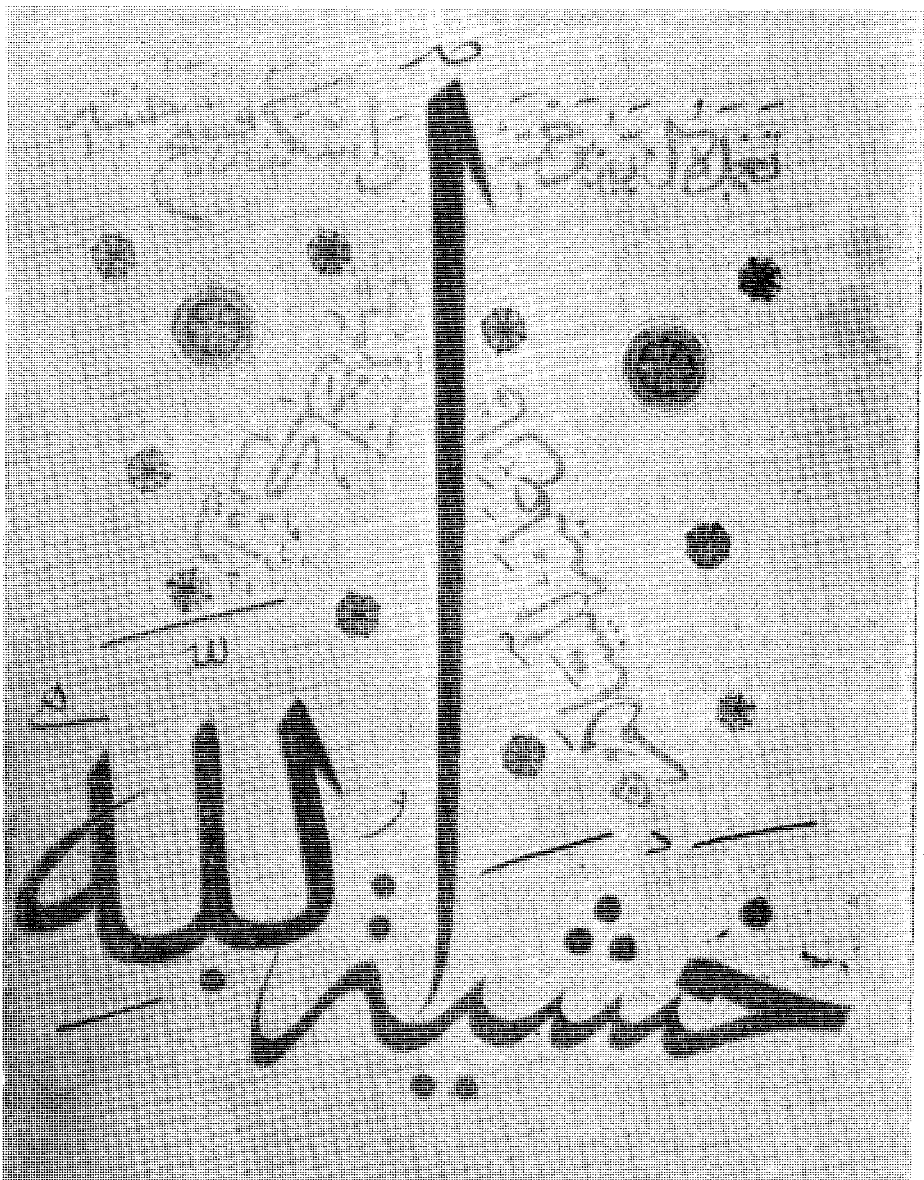
اكثر مصارع العقول
تحت بروق الاطماع
الطامع في وثاق الذل
من ابدى صفحته للحق هلك

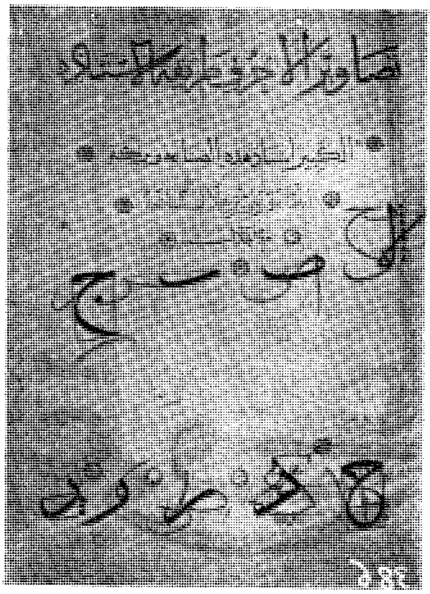

كتبه علي بن هلال حامداً لله تعالى على
نعمه ومصلياً على نبيه محمد وآله
حسبنا الله ونعم الوكيل

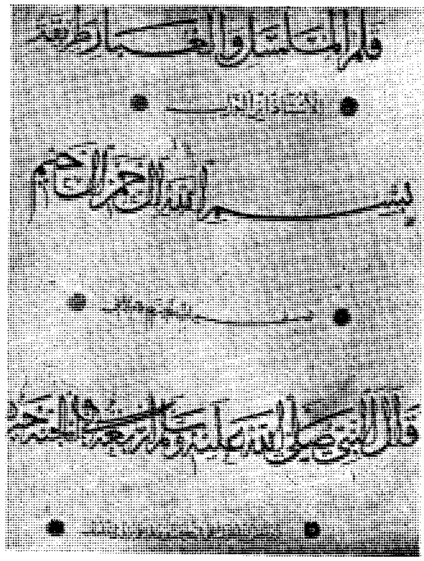

بسم الله الرحمن الرحيم
لبيك اللهم لبيك

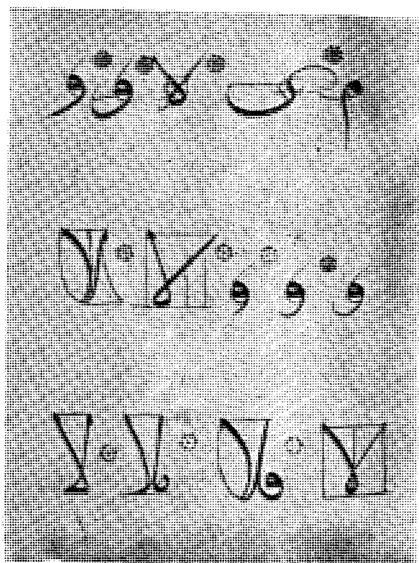


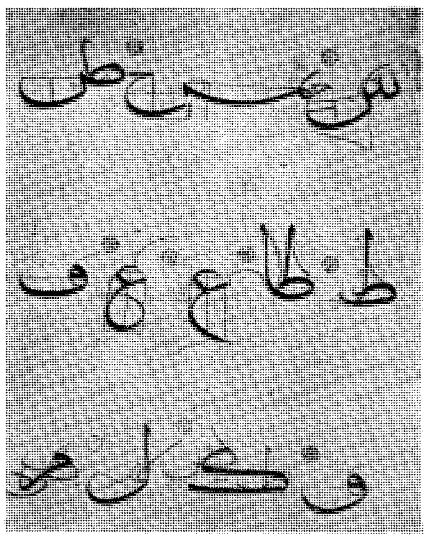


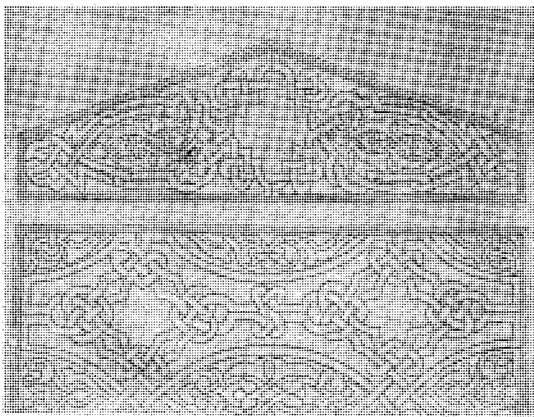


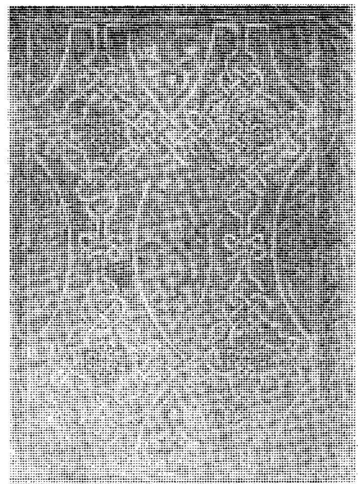


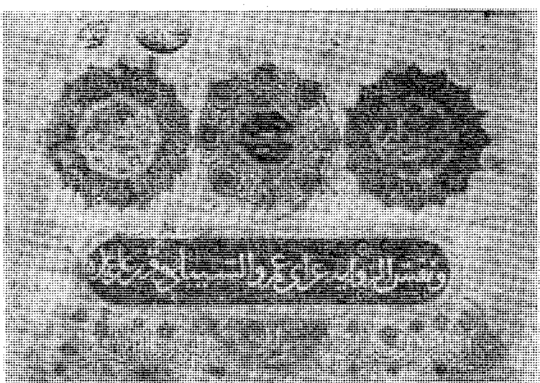

بسم الله الرحمن الرحيم

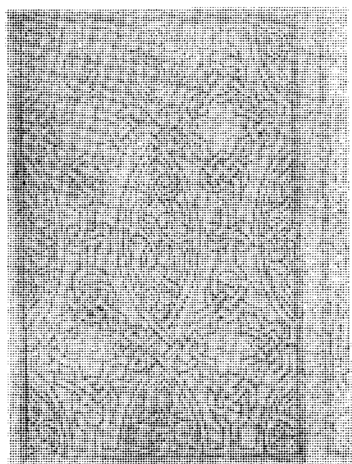


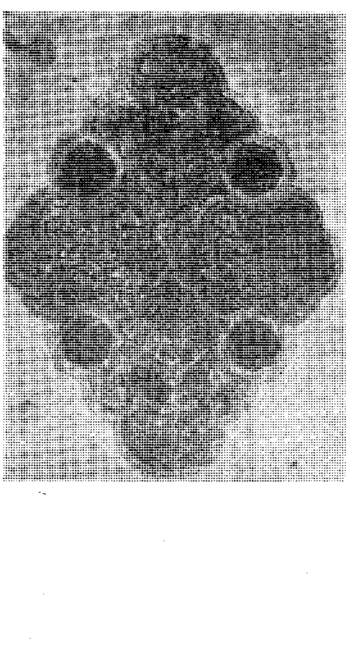




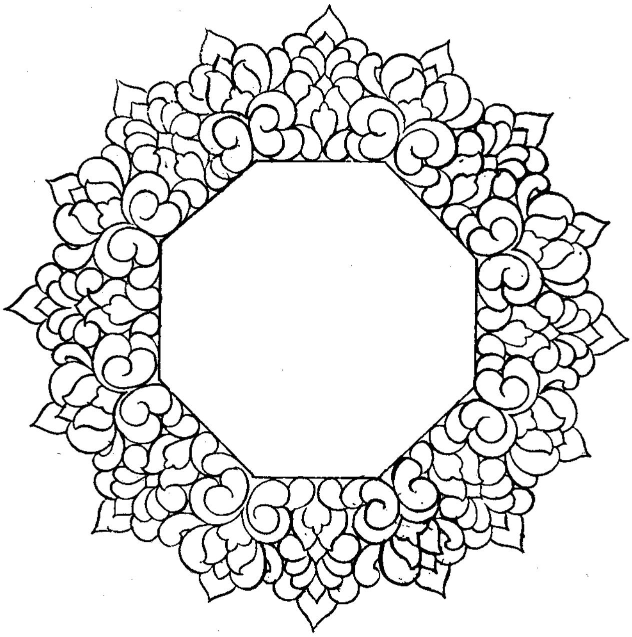


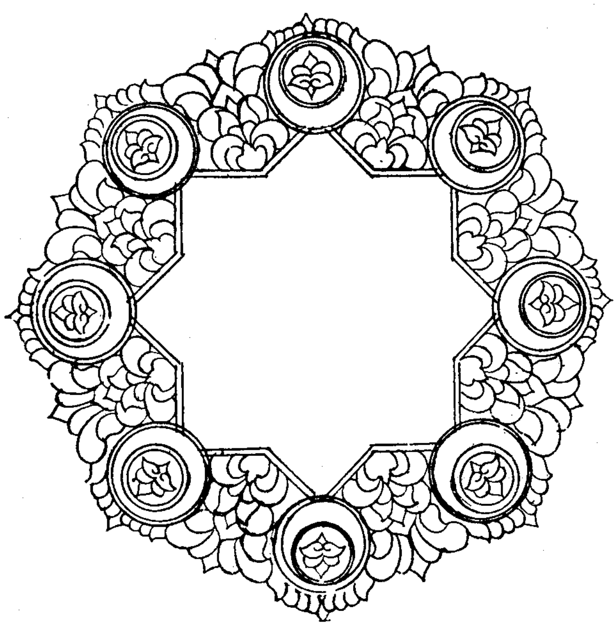







فيه شعر سلامة بن جندل السعدي





تحقيقات وتعليقات

على كتاب

الخطّاط البغدادي علي بن هلال

المشهور بابن البوّاب

بقلم

محمد بهجة الأثري

عضو المجمع العلمي العراقي ونائب رئيسه الأول

*

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٧هـ — ١٩٥٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد استحقّت هذه الدراسة العناية منّا بنقلها الى اللغة العربيّة، لأنّها اتّجهت الى قَدْر الخطّ العربيّ الجميل قدرَهُ والنظر اليه نظرة الإكبار والإجلال من رجل اصطنعت دولته في تاريخها القريب — لأمرٍ ما — الحروفَ اللاتينية لكتابتها مكانَ الخطّ العربيّ الذي عاشت عليه حضارتها وثقافتها خمسة قرون، بلغ سلطانها السياسيّ والعسكريّ فيها أوج عظمته في الفتوح شرقاً وغرباً في آسية وأوربة وإفريقية.

وهذا الخطّ العربيّ، في الطور الرفيع الذي بلغه من الكمال والجمال على أيدي فريق من أقطاب الفنون الرفيعة من العرب، ولا سيّما الأستاذ عليّ بن هلال المشهور بابن البوّاب البغداديّ .. قد بلغ ذروة الإبداع في تطويره واستكمال أسباب الفنّ له على وَفْق قواعد الهندسة ومقتضيات الذوق المهذّب الرفيع ..

فلا بِدْعَ أن يكون مناطَ إكبار عالم متفنّن يشارك في جملة من علوم الشرق والغرب ويمعن في الدراسات العالية للفنون الرفيعة من رسم وموسيقَى وخطّ، وأن ينال الأستاذُ الذي بلغ به هذه النقلة من الكمال المدى الأبعدَ من إكباره وإجلاله فيخصّه بهذه الدراسة الخفيفة الظلّ الجميلة الذوق.

ونحن — حين نشكر هذا الأستاذ التركيّ على ما قدّم من إحسان الى ثقافتنا وخطّنا

العربيّ الأصيل ، وهو عمود ثقافتنا ، ـ نرى كتابه خليقاً بأن يكون له حظٌّ من مشاركتنا في استجلاء حياة هذا النابغة البغداديّ العظيم ، إذ كان صنيعه في إصلاح الخطّ العربيّ وتطويره وتجميله ، قد بلغ الغاية من الإعجاز ومن سموّ الذوق في مجالي الفنون الرفيعة ، وأدّى للثقافة العربيّة والحضارة الإسلاميّة ما أدّى من جليل الخدمات .

وهذا ما دعاني الى تجريد الهمّة لتدوين هذه التحقيقات والتعليقات ، تمحيصاً لدراسته ، وتحقيقاً لنصوصه ، ومدّاً لأسباب البحث في هذا الروض الذي لا يزال أُنُفاً في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة بالزيادة والاستقصاء والتقريب والتحقيق .

وأرجو أنّني قد بلغت من ذلك — على ضيق رقعة الوقت وكثرة الشواغل — بعض ما أردته من هذه المشاركة ، إذ كان تناول كلّ جزئيّة مما جاء في هذه الرسالة الخفيفة يقتضيني كتابة أضعافها ، ولم يكن تحميلها ما لا تحتمله من أهدافي .

ترجمة علي بن هلال

ص (٦)

١) بدأ المؤلف الفاضل الدكتور سهيل أنور كلامه على الخطاط العربيّ العظيم أبي الحسن عليّ بن هلال بن عبد العزيز (١) ، المشهور بابن البوّاب ، بالإشارة الى مورد ترجمته ، وهو كتاب « تحفهٔ خطّاطين (٢) » المدوّن باللغة التركية من تأليف مستقيم زاده سليمان سعد الدين أفندي ، وذهب الى أنّه أجود ما كتب في المؤلفات القديمة في ابن البوّاب .

وتفضيله لما كتبه مستقيم زاده في ترجمة ابن البوّاب على ما كتبه غيره من الباحثين فيه ، لا يستقيم له إطلاقاً ، إلّا اذا أراد المؤلفات التركيّة . على أنّ ما كتبه مستقيم زاده في ابن البوّاب ، لا يزيد على صفحة في كتابه ، وقد خلا من شؤون كثيرة من سيرة ابن البوّاب أفاضت بها الموارد العربيّة ، ولا سيّما معجم الأدباء ووفيات الأعيان وتلخيص مجمع الآداب والبداية والنهاية وغيرها .

ولمّا كان كتاب « تحفهٔ خطّاطين » هو مورد المؤلف الوحيد في التعريف بابن البوّاب ، وكان مؤلَّفاً باللغة التركيّة وغير معروف عند معظم الخاصّة بَلْهَ الجماهيرَ من قرّاء العربيّة ، حَسُن أن أكتب تعريفاً موجزاً به وبمؤلفه .

فأمّا المؤلف ، فهو من علماء الدولة العثمانية في القرن الثاني عشر الهجريّ في الفقه والتصوّف والتاريخ والأدب والشعر . ولد في استنبول سنة ١١٣١ ، وتثقّف ثقافة عربيّة إسلاميّة على

(١) لم يذكر جده هذا « عبد العزيز » الا ابن الفوطي فيمن عرفنا من مؤرخي السير .
(٢) أي (تحفة الخطاطين) .

أبيه وعلى غيره من علماء عصره، وجوّد الخطّ العربيّ الذي هو الخطّ الرسميّ للشعوب الإسلاميّة جمعاء طوال العصور الإسلاميّة حتى أيّامنا هذه، ونظم الشعر بالعربيّة والفارسيّة والتركيّة، وعانى التأليف باللغة التركيّة، وتجاوزت كتبه المئة في التفسير والحديث والعقائد والتصوّف والتاريخ والأدب، منها: « الآثار الأحبّ لميل حبّ العرب »، و « حجّة الخطّ الحسن »، و « سلسلة الخطّاطين »، و « تحفهٔ خطّاطين »، و « مناقب إمام أعظم »، و « دوحهٔ كبار مشايخ »، وغيرها. وكانت وفاته في استنبول سنة ١٢٠٢ هـ.

وترجمته في الكتب التركيّة، مثل: « قاموس الأعلام »، و « قانون الأدب »، و « تذكرهٔ شفقت »، و « تذكرهٔ فطين »، و « تاريخ جودت »، و « سجلّ عثماني »، و « عثمانلي مؤلّفلري ». وقد ترجم هو لنفسه في كتابه « تحفهٔ خطّاطين » ترجمة مختصرة (٢١٦ — ٢١٧)، وكتب ابن الأمين محمود كمال بك من كتّاب الأتراك ترجمة له حافلة نشرت في مقدمة هذا الكتاب.

وأمّا كتابه « تحفهٔ خطّاطين »، فهو معجم تأريخي ضخم، جمع فيه سليمان سعد الدين أفندي طوائف من الخطّاطين العرب والترك والفرس في مختلف العصور الإسلاميّة، وكتب مقدمة له ضمّنها أربعين حديثاً في الخطّ وتعليم الكتابة. على أنّه مع إحسانه في الجمع والتتبّع قد وقعت له أوهام كثيرة فيه، وفاته ناس كثير من الخطّاطين المجوّدين من أهل العصور التي سبقت عصره، فضلاً عمّن جاؤوا بعده.

وقد نشر هذا الكتاب في جملة منشورات « تورك تاريخ أنجمني كلياتي » تحت الرقم ١٢، وطبع في « دولت مطبعه‌سي = مطبعة الدولة » في استنبول = استانبول، سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨م)، في ٨٥٦ صفحة، عدا الفهارس ومقدّمة ابن الأمين محمود كمال بك.

* * *

٢) قال المؤلف : « الأستاذ عليّ بن هلال ، بغداديّ ، اشتهر باسم علاء الدين بن البوّاب .. » .

هذا الكلام منقول من كتاب (تحفهٔ خطّاطين) المتقدّم ذكره ، وورد مثله في (دائرة المعارف الإسلامية) ١٠٣/١ من الترجمة العربيّة ، ونصّهُ : « ابن البوّاب أبو الحسن علاء الدين عليّ بن هلال .. » .

ولا جدال في أن إقحام (علاء الدين) خطأ محض ، لا أدري من أين تسرّب الى هذين الكتابين .

فأمّا كتاب (تحفهٔ خطّاطين) ، فلم يذكر فيه من موارد ترجمة ابن البوّاب الّا كتاب (النجوم الزاهرة) ، وليس فيه اسم علاء الدين .

وأمّا (دائرة المعارف الإسلاميّة) ، فقد ذكرت لترجمة ابن البوّاب ثلاثة موارد : (١) وفيات الأعيان رقم ٤٦٨ ترجمة دهسلين De Slane ٢٨٢/٢ (٢) خط وخطاطّان (أي الخطّ والخطّاطون) كتاب تركي لحبيب أفندي ص ٤٤ (٣) Calligraphes لكليمان هوار Cl Huart ص ٨٠ . ومن الثابت قطعاً أنّ كتاب وفيات الأعيان لم يرد فيه هذا الاسم في ترجمة ابن البوّاب . فلا جرم أنّ إقحام اسم علاء الدين فيها هو إمّا من حبيب أفندي وكليمان هوار كليهما ، وإمّا من واحد منهما ، وكلاهما ليس بالمحقّق ولا سند له أيضاً .

ولست أعرف في كتّاب السير والتاريخ والفنون الثقات ، ممن عرضوا للكلام على ابن البوّاب في كتبهم وبحوثهم من عصره الى هذا اليوم ، من سمّاه أو لقّبه بعلاء الدين ، أو ادّعى أنّه اشتهر به وله مرجع موثوق به يستند إليه .

فانظر ـ إذا شئت ـ ديوان الشريف المرتضى الموسويّ وقد رثى ابن البوّاب بقصيدة (مخطوط) ، والمنتظم ١٠/٨ ، ووفيات الأعيان ٣٤٥/١ ، ومعجم الأدباء ١٨/١٥ ، وتلخيص مجمع الآداب (مخطوط) ، والكامل لابن الأثير ١٢١/٩ ، والبداية والنهاية

١٢/١٤ ، وشذرات الذهب ٣/١٩٩ ، والنجوم الزاهرة ٤/٢٥٧ ، ومقدّمة ٱبن خلدون ٢/٣٤٦ (طبعة كاترمير) ، وصبح الأعشى ٣/١٧ ، وتاريخ الخطّ العربيّ وآدابه ٣٣٤ ، وغيرها … تجدها جميعاً متّفقة على تكنيته بأبي الحسن ، وتلقيبه بٱبن البوّاب وربّما لقّبته بٱبن الستريّ على ماسيجيء بيانه في الفقرة الثالثة ، وعلى تسميته بعليّ بن هلال ، وإنّما ٱنفرد ٱبن الفوطيّ فزاد في (تلخيص مجمع الآداب) ٱسم جدّه عبد العزيز .

أمّا علاء الدين ، فلا وجود له فيها على الإطلاق ، وهي الأصول المعتمدة لكتابة سيرة ٱبن البوّاب . ولو عرف ٱبن البوّاب بهذا الاسم أو اللقب في عصره ، لذكروه جميعاً ، ولوضعه ٱبن الفوطيّ في (تلخيص مجمع الآداب) الذي ألّفه في أوائل القرن الثامن الهجريّ مرتّباً على الألقاب ، في باب من لقّب بعلاء الدين ، ولم يضطرّ أن يخترع له نعتاً — هو « قلم الله في أرضه » — ليصحّ له إدخاله في كتابه .

* * *

٣) قال المؤلف — ٱستناداً الى (تحفهٔ خطّاطين) أيضاً : « وكان أبوه يعرف بٱبن سريّ » .

في هذا النصّ غلطتان : زيادة « ابن » ، وتحريف « الستريّ » . وقد كان هلال — أبو المترجم له — بوّاباً لبني بُوَيْه ، والبوّاب ملازم ستر الباب ، فلهذا نسب اليه كما قال ٱبن خلكان في الوفيات ١/٣٤٥ ، فهو « السّتريّ » . أمّا ٱبن السِّتريّ ، بزيادة ٱبن ، فإنّما يطلق على ٱبنه لا عليه بداهةً .

وقد نقل ٱبن كثير في البداية والنهاية كلام ٱبن خلكان في تلقيب عليّ بن هلال بٱبن الستريّ ببعض التصرف ، وورد في نقله « الستريّ » مجرداً من « ٱبن » لقباً لعليّ نفسه ، ولم يكن عليّ بوابًا ، ولا أرى ذلك إلا من تصرّف الناسخ .

وقد كان ٱبن البوّاب يعيَّر بهذا اللقب ويُهْجَى به أيضاً ، كالذي جاء من ذلك في

تاريخ أبي الفرج ابن الجوزيّ (المنتظم) ، قال : « بلغنا أنّ أبا الحسن البتّيّ [١] دخل دار فخر الملك أبي غالب ، فوجد ابن البوّاب جالساً في عتبة باب ينتظر خروج فخر الملك ، فقال : جلوس الأستاذ في العتب ، رعايةٌ للنسب [٢] . فحرد ابن البوّاب ، وقال : لو أنّ لي من أمر الدنيا شيئاً ، ما مكّنت مثلك في الدخول . فقال البتّيّ : ما تترك صنعة الشيخ — رحمه الله — [٣] » .

وقد نقل ياقوت هذا الخبر عن تاريخ ابن الجوزيّ [٤] باختلاف — غير يسير — عن نصّه المطبوع بمطبعة دائرة المعارف العثمانيّة بعاصمة حيدر آباد الدكن ، زيادةً ونقصاً وتغييراً . وهذا أمر له خطره في تحقيق الكتب القديمة ، وقد أردت بالتنبيه عليه هاهنا تبصير الباحثين فيه باستقصاء مناشيء هذا الاختلاف بين النسختين وأسبابه .

وأنا أورد منقول ياقوت تسهيلاً للمراجعة ، وهذا نصّه في الطبعة المصرية [٥] :

« ووجدت في تاريخ أبي الفرج بن الجوزيّ ، قال : اجتاز أبو الحسن البتّيُّ الكاتب ، وكان مزّاحاً — وله في هذا الكتاب باب — ، وعليّ بن هلال جالس على باب الوزير فخر الملك أبي غالب محمّد بن خلف [٦] ينتظر الإذن . فقال له البتّيّ : جلوس الأستاذ على العتب ، رعاية للنسب . فغضب ابن البوّاب ، وقال : لو أنّ إليّ أمراً ، ما مكّنتك من دخول هذه الدار . فقال البتّيّ : لا يترك الأستاذُ صنعة الوالد بحال » .

ثمّ أورد ياقوت — بعد هذا النصّ — بيتين لبعضهم يهجو ابن البوّاب ، لم يردا في تاريخ ابن الجوزيّ ، قال :

« ولبعضهم يهجو ابن البوّاب :

---

(١) ترجمته في معجم الأدباء ٣/٢٥٤ .
(٢) يشير الى أن أباه كان بواباً لبني بويه .
(٣) المنتظم ٨/١٠ طبعة مطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٥٩ هـ .
(٤) المنتظم ٨/١٠ .
(٥) معجم الأدباء ١٥/١٢٤ ، طبعة رفاعي .
(٦) سقط اسم (علي) من بينهما ، وسيرد ذكره ثانية في (ص ١٢) .

ماذا رأيتم من النّسّاخ متّخذاً ... سِبالَ لِصٍّ على عُثْنُونِ محتالِ[1] ؟
هـــذا وأنت ابن بوّاب وذو عدم ... فكيف لو كنتَ ربَّ الدار والمالِ ؟

وقـد نقل ابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) هذا الخبر عن هلال بن الصابىء بعض الاختلاف في الألفاظ في آخره ، والمعنى — في كلّ حال — واحد ؛ ثمّ اقتصر من البيتين المتقـــدّمين على ثانيهما ، والقوم يأثر بعضهم عن بعض ، وإنّما الفضل للمتثبّت المستبصر .

* * *

٤) وقال المؤلف — نقلاً عن مستقيم زاده أيضاً — : « وكان عليّ بن هلال حافظاً للقرآن الكريم » ، وهو ترجمـة كلامه بالتركية المكتوب بالحروف اللاتينية :

(Ali Bin Hilâl Kur'ani Kerim Hafizi Idi) .

ولم أجد في كتّاب التراجم المشهورين ، الذين قدّمت أسماءَهم عَرَضًا ، مَنْ ذكر حفظ ابن البوّاب للقرآن الكريم ، إنّما ذُكر أنّه قرأ القرآن . على أن الإشارة الى قراءته القرآن فقط دون حفظه ، إنّما تفرّد بها ابن تغري بردي وحده في (النجوم الزاهرة) ، ولم أجدها عنـد الباقين . فلعلّ ذلك ـ حين عرض لمستقيم زاده في النجوم الزاهرة ـ أوقع في روعه معنى الحفظ ، فأعطاه هذا اللفظ ؛ لأنّ كلّ مسلم يتخرّج بقراءة القرآن ، وهو أمر عامّ مألوف ، ولذلك لا يذكر في التراجم إلا نادراً كما في هـــذه الترجمة ، وإنّما المتعارف عليه عند المترجمين أن يذكروا حفظ القرآن ، لأنّه أمر له خطره ، إذ كان يقتضي صاحبه

---

(١) السـبال : الشوارب ، واحدها السبلة (بفتح السين والباء) ، والعثنون : اللحيـة ، يجمع على عثانين . والشاعر يشير الى طول لحيـة ابن البواب ، وكانت فيما روى ياقوت طويلة جداً بلغت مبلغاً فاحشاً ، ونقل في ذلك عن غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابىء في (كتاب الهفوات) حكاية طريفة ، سأوردها في موضعها من هذه التحقيقات .

جهداً ومشقّـة ، فهو خليق بأن يعدّ من مآثر الرجال .

* * *

وعلى ذكر ثقافة ابن البوّاب ، يحسن أن تضاف اليها هاهنا معارفـه الأخرى وأعماله وصفاته على سبيل الإيجاز ، استيفاءً للبحث :

أ) ذكر ابن تغري بردي ـ بالإضافة الى قراءة ابن البوّاب القرآن الكريم ـ أنّه تفقّـه [1] ، ولم يذكر فيمَ تفقّـه ، فإنّ المدارس الفقهيّـة كثيرة ومتنوّعة . والذي يبدو لي من ملامح سيرة ابن البوّاب أنه تفقّـه بالفقه السُّنّـيّ الحنبليّ ، ولي على هذا قرينتان : قول ابن خيرون فيه إنّه « كان من أهل السنّـة [2] » ، ثمّ دفنه ـ رحمه الله ـ في مقبرة باب حرب ، بجوار الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب المشهور ـ رضي الله عنه ـ [3] ، وما زال مثل هذا من شؤون الناس في المدافن ونحوها ، يقوم في مثل هذه الأحوال مقام النصّ والدلالة القاطعة .

ب) أخذ العربيّة عن أبي الفتح عثمان بن جِنّـيّ ، المتوفّـى سنة ٣٩٢ هـ ، فيلسوف العربيّـة المشهور ، وصاحب الخصائص وسرّ الصّناعة وشرح ديوان المتنبّي وغيرها .

جـ) صحب أبا الحسين بن سمعون الواعظ البغداديّ المشهور [4] ، ووعظ في جامع المنصور ببغـداد [5] ، وعبر الرؤيا [6] ، وقال النظم والنثر [7] .

د) كان في شبيبته مزوّقاً يصوّر الدور ، دهّـاناً في السقوف . ثمّ صوّر الكتب ،

---

(١) النجوم الزاهرة ٤/٢٥٧ .

(٢) شذرات الذهب ٣/١٩٩ .

(٣) جميع الموارد ، إلا المنتظم ، فان ابن الجوزي اقتصر فيه على ذكر دفنه في مقبرة باب حرب ، ولم ينص على دفنه بجوار الإمام أحمد بن حنبل .

(٤) المنتظم ٨/١٠ ، والبداية والنهاية ١٢/١٤ ، ووفيات الأعيان ١/٤٩٢ .

(٥) معجم الأدباء ، وتلخيص مجمع الآداب . وفي المنتظم : « وكان يقص بجامع المدينة » ، وفي الكامل : « وكان يقص بجامع بغداد » ، وفي الشذرات : « ووعظ » .

(٦) الشذرات ٣/١٩٩ .

(٧) الشذرات .

ثمّ تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدّمين وأعجز المتأخّرين [١] .

هـ) ذكر ياقوت أنّه لما ورد فخر الملك أبو غالب محمّد بن [عليّ] بن خلف [الواسطيّ] الوزير والياً على العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر بن عَضُد الدولة ، جعله من ندمائه [٢] ، وكان لا يفارقه لفضائله التي اجتمعت فيه من حسن الخطّ والإنشاء والشعر على حدّ قول ابن الفوطيّ [٣] . وكان فخر الملك ـ كما قال ابن خلكان ـ من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد ابن العميد والصاحب بن عبّاد [٤] .

و) يظهر من خبر نقله ياقوت عن (كتاب المفاوضة) أنّ ابن البوّاب عمل بشيراز لبهاء الدولة بن عضد الدولة المذكور في خزانة كتبه ، وأنّه كان يتصرف فيها على اختياره ، ويراعيها له ، وأنّ أمرها كان مردوداً اليه [٥] .

وقد ورد في هذا النصّ خبر طريف يرويه ابن البوّاب عن ظفره بمصحف مكتوب بخطّ الوزير أبي عليّ بن مقلة المشهور ، ولرواية هذا الخبر موضع آخر .

ز) قال الخطيب ـ فيما نقله ابن العماد الحنبليّ ـ : « كان ، أي ابن البوّاب ، رجلاً ديّناً . لا أعلمه روى شيئاً [٦] » .

وأثنى عليه غير واحد في دينه وأمانته [٧] .

ح) قال ابن الفوطيّ : « كان مع ما رزقه الله من المعجزات في حسن خطّه ، وجودة ضبطه ، قد رزق [٨] ملاحة الكتاب ، ومحاسن الآداب : من الفضل الظاهر ، والنظم

---

(١) معجم الأدباء والشذرات . وقال ابن الفوطي : « صاحب الخط الذي اشتهر ذكره في العالم ، وفاق بحسن الخط في بني آدم ... والى الآن ـ سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ـ لم يلحق أحد شأوه ، وهيهات ! » .
وقال ابن تغري بردي : « وفاق أهل عصره في الخط المنسوب ، حتى شاع ذكره شرقاً وغرباً » .
(٢) معجم الأدباء ١٥/١٢١ .
(٣) تلخيص مجمع الآداب ، الورقة ٢٣٥ ، (نسخة مصورة في مكتبة مديرية الآثار العامة ببغداد) .
(٤) ترجمة فخر الملك في وفيات الأعيان ٢/٦٥ ، وغيره . (٥) معجم الأدباء ١٥/١٢٢ .
(٦) الشذرات ٣/١٩٩ . (٧) البداية والنهاية ١٢/١٤ .
(٨) الأصل : « ورزق مع ملاحة الكتاب بمحاسن الآداب ... » .

الباهر ، كأنّما ألفاظه الفصيحة مدامةٌ تُعَلُّ بماء المزن [1] ... » .

وهذا الرأي في شعر ابن البوّاب ، معارَضٌ بآراء مخالفة من بعض النقدة . فقد نسبه ياقوت إلى اللين أي الضعف ، واشتد عليه الجُوَيني حتّى أساء الأدب في وصفه ، وساوى لفظه من بعدُ مضطراً ، وقد عقب به على مثال من شعره نقله من خطّه في ضمن رسالة .

وأنا أُثبت هذا الشعر ها هنا ، وما قيل فيه ، استيفاءً لآثار ابن البوّاب الأدبيّة في هذه الدراسة ، قال :

ولو أنّي أهديتُ ما هو فرضٌ ... للرئيسِ الأجلِّ من أمثالي
لَنَظَمْتُ النجومَ عِقداً إذا رصّـ ... ـعَ غيري جواهراً بلآلي
ثمّ أهديتها اليه ، وأقرر ... تُ بعجزي في القول والأفعال
غيرَ أنّي رأيت قدرَك يعلو ... عن نظيرٍ ومُشْبِهٍ ومِثالِ
فتفاءلت في الهديّة بالأقـ ... ـلام ، علماً منّي بصدق الفالِ
فاعتقدها مفاتحَ الشرقِ والغر ... بِ سريعاً والسهلِ والأجبالِ
فهيَ تستنّ إنْ جرينَ على القر ... طاسِ بين الأرزاقِ والآجال
فاختبرْها موقِّعاً برسوم الـ ... ـبِرِّ والمكرُماتِ والإفضالِ
واحْظَ بالمهرجان ، وابْلِ جديد الـ ... دَّهْرِ في نعمة بغير زوالِ
وابْقَ للمجدِ صاعدَ الجِدِّ عزّاً ... والرئيسَ الأجلَّ نجمَ المعالي
في سرور وغِبْطَة تدَعُ الحا ... سِدَ منها مقطَّعَ الأوصالِ
عضّدتها السعودُ ، واستوطنَ الإقـ ... ـبالُ فيها ، وسالمتها الليالي
أيّها الماجدُ الكريمُ الذي يبـ ... ـدأ بالعارفات قبل السؤال

(1) تلخيص مجمع الآداب ، الورقة ٢٣٥ .

إنّ آلاءك الجزيلةَ عنـدي شرَعَتْ لي طريقةً في المقالِ
أمّنتني لديك من هُجنة الردّ — وفَرْطِ الإضجارِ والإمـلال
وحقوقُ العبيدِ فرضٌ على السا دةِ في كلِّ موسـم للمعالي
وحيـاةُ الثنـاء تبقى عـلى الدهـ رِ إذا ما انقضتْ حيـاةُ المـال

قال ياقوت — بعـد أن روى هذا القدر الذي رآه بخطّ الحسن بن عليّ الجوينيّ الكاتب [1] من القصيدة ـ : « وكان تحت هذا الشعر بخطّ الجوَينيّ ما صورته : هذا شعر ابن البوّاب ، وهو عورة سترها ذلك الخطّ . ولولا أنّ الاجماع واقع في أنّ الرجل يُفتَتَنُ بشعره وولده ، لـكان صاحب تلك الفضيلة يرتفع عن هذه النقيصة [2] » .

ولابن البوّاب قصيدة من نوع النظم التعليميّ في الخطّ ، سأوردها في موضعها الملائم من هذه الدراسـة .

* * *

أمّا ما ذهب اليه ابن الفوطيّ من الرأي الجميل في إنشاء ابن البوّاب وألفاظه الفصيحة الّتي « كأنّها المدامـة تُعَلُّ بماء المزن » ، فله فيه نظراء من الباحثين ، مثل ياقوت ، فإنّه حين نظر في شعره فاستلانه ، نظر في إنشائه فتعاظمته يده الباسـطة فيه وفصاحته وبراعته ، وروى منه رسالة أنشأها ابن البوّاب في الـكتابة وكتبها الى بعض الرؤساء ، ونقلها من خطّ الحسن بن عليّ الجوينيّ الـكاتب .

وهي :

٥٨٦

(١) هو صاحب الخط المنسوب ، الـكاتب البغـدادي ، المتوفى بمصر في صفر سنة ٥٨٣ هـ . وكان يقال : لم يكتب أحد بعد ابن البواب أجود من الجويني . وترجمته في معجم الأدباء ٤٣/٩ ، ووفيات الأعيان ١٤٤/١ .

(٢) يريد فضيلة خطه ونقيصة شعره . وللـكلام بقية في معجم الأدباء ١٢٧/١٥ ، مضمونهـا انكار ياقوت — مع استلانته شعر ابن البواب — على الجويني زرايته عليه ، وهو نفسه لم يقل من الشعر إلا الدون كالمثال الذي ساقه ياقوت نقلا من خطه .

« قد افتتحتُ خدمةَ سيّدِنا الأستاذ الجليل ـ أطال الله بقاءه، وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده، وكبت عدوّه ـ بالمثال المقترِن بهذه الرُّقعة، افتتاحاً يصحَبُهُ العذرُ الى جليل حضرته من ظهور التقصير فيه، والخلل البادي لمتأمّليه.

وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يُخْدَمَ بالغايات المَرْضيّة من كلّ صِناعة، تأدّياً لسُؤدده وعلائه، وتصدّياً للفوز بجميل رأيه. ولم يَعْدُ بي عن هذه القضيّة جهلٌ بها، وقصورٌ عن علمها. لكنّي هاجرٌ لهذه الصِناعة منذ زمن طويل هجرةً قد أورثت يدي حَبْسَةً ووقفةً، حائلتين بينها وبين التصرُّف والافتنان، والوفاء بشرط الإجادة والإحسان. ولا خفاء عليه ـ أدام الله تأييده ـ بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصِناعة الى فرط التوفّر عليها، والانصرافِ بجملة العناية اليها، والكَلَفِ الشديد بها، والولوعِ الدائم بمزاولتها، فإنّها شديدة النِفار، بطيئة الاستقرار، مَطْمَعَةُ الخداع، وَشيكةُ النزاع، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نَوارٌ [1] قيدُها الأعمال، شَمُوسٌ قهرُها الوصال، لا تسمح ببعضها إلا لمن آثرها بجملته، وأقبل عليها بكلّيّته، ووقف على تألّفها سائرَ زمنه، واعتاضها عن خِلّه وسَكَنه [2]، لا يؤيّسه حيادُها، ولا يغرّه انقيادُها، يقارعها بالشهوة والنشاط، ويوادعها عند الكَلال والمَلال، حتى يبلُغَ منها الغاية القصيّةَ، ويدركَ المنزلة العليّة، وتنقادَ الأناملُ لتفتيح أزهارها، وجَلاءِ أنوارِها، وتظهرَ الحروفُ موصولةً ومفصولة، ومُعمّاةً ومُفتّحةً في أحسن صِيَغِها، وأبهج خلقها، منخرطةَ المحاسنِ في سلك نظامها، متساويةَ الأجزاءِ في تجاورها والتآمها، ليّنة المعاطف والأرداف، متناسبةَ الأوساط والأطراف، ظاهرُها وَقورٌ ساكن، ومَفتّشها بَهِجٌ فاتن، كأنّما كاتبُها ـ وقد أرسل يده وحثّ بها قلمه ـ رجّع فيها فكرَهُ ورويّته، ووَقفَ على تذهيبها قدرتَه وهمّته. القلبُ بها في حِجر ناظره، والمعنى بها مظلوم بلفظه.

(١) نفور. (٢) زوجه.

وما ذهبتُ في هــذه الخدمة مذهبَ المُطرِف المُغرِب(١) بها ، ولا المعوِّلِ على شوافعها(٢) ، لكن نهجت بها سبيلاً لأمثالها ، إقامةً لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدَمهم وصنائعهم .

فإنْ سَعِدتُ بنَفاقها(٣) عليه ، وارتضائها لديه ، سَلِمْتُ من وصمة(٤) التضجيع(٥) والإهمال ، وهُجنةِ التقصير في شكر الإنعام والإفضال ، ولسيّدنا الأستاذِ الجليلِ ـ أطال الله بقاءه ـ علوُّ الرأي في الأمر بتسلّم ما خدَمْتُ به ، وتصريفه بين عالي أمره ونهيه ، إن شاء الله تعالى » .

ط) سكتت كتب التراجم عن وصف صورة ابن البوّاب وشكله وصفاً كاملاً ، وكان شأنها معه في ذلك كشأنها مع غيره من المترجَمين ، إلّا ما يندّ على سبيل الندرة من أقلام بعض الكاتبين في التعرّض لذكر بعض ملامحهم عرضاً ، لا قصداً ، كالذي روي من الحكاية التي تعيّن زيّه وسمته ، وأنّه كان يعتمّ ويطيل لحيته إطالة فاحشة لا يتناولها بالتشذيب حتّى كانت موضع التندّر من أصحابه ومن الناس . ولست إخاله إلّا كان متعمّداً ذلك ، ظهوراً للناس بمظهر الشذوذ ، وقصداً الى المباينة والمخالفة ، على نحو ما نرى من تَمحّت معظم « الفنّانين » في عصرنا — في الشرق والغرب — إذ يطيلون أصداغهم والناس يقصّرونها ، أو يعفون لحاهم والناس يحلقونها ، أو يتخذون زيّاً مبايناً لأزياء الناس ... كأنّهم يجعلون من ذلك إعلاناً لأمرهم يثيرون به فضول الناس ، ليعرفوا ، ولله في خلقه شؤون !

والخبر المرويّ في نعت ابن البوّاب خبر طريف يعطينا من أمره أيضاً بعض ملامح نفسه من سعة الخلق واحتمال النادرة ، ومن عدم المبالاة بما يثيره زيّه ولحيته من فضول الناس ، ولست أرى إخلاء هذه الدراسة من روايته لطرافته . وهو ما حدّث به غرس النعمة محمّد بن

---

(١) المغرب : المجاوز الحد .

(٢) الشافع : المعين .

(٣) رواجها .

(٤) عيب .

(٥) ضجع في الأمر تضجيعاً : قصر .

هلال بن المُحَسِّن بن إبراهيم بن هلال الصابىء في (كتاب الهَفَوات)، قال :

«كان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر بن مسعود، فلقي يوماً أبا الحسن عليَّ بن هلالٍ البوّابِ، الكاتبَ ذا الخطّ المليح، في بعض المرّات، فسلّم عليه، وقبّل يده. فقال له ابن البوّاب: اللهَ اللهَ يا سيّدي! ما أنا وهذا؟ فقال له: لو قبّلت الأرض بين يديك، لكان قليلا! قال: لمَ؟ ولِمَ ذاك يا سيّدي؟ وما الّذي أوجبه واقتضاه؟ قال: لأنّك تفرّدت بأشياء ما في بغداد كلّها من يشارك فيها، منها: الخطُّ الحَسَنُ، وأنّه لم أر في عمري كاتباً من طرف عمامته إلى لحيته ذراعان ونصفٌ غيرك! فضحك أبو الحسن منه، وجزاه خيراً، وقال له: أسألك أن تكتم هذه الفضيلة عليَّ، ولا تكرمني لأجلها!! قال له: ولمَ تكتم فضائلك ومناقبك؟ فقال له: أنا أسألك هذا. فبعد جهدٍ ما، أمسك[١]».

قال راوي الخبر: «وكانت لحية ابن البوّاب طويلة جدّاً». وقد قدّمتُ ما هجيت به من الشعر[٢].

ي) عرض ياقوت لحظّ فنّ هذا النابغة المجدّد من أهل عصره، فذكر أنّه لم يكن له في عصره ذاك النَّفاق[٣] بعد وفاته، واستدلّ على ذلك بأنّه وجد رقعة بخطّه كتبها الى بعض الأعيان يسأله فيها مساعدة صاحبه ابن منصور، وإنجاز وعدٍ وعده به لا يساوي دينارين. وقد بسط القول في ذلك. فاستطالها ياقوت، إذ بلغت نحو السبعين سطراً، فألغى إثباتها. وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إماميّة، وبلغه أنّها بيعت مرّة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً.

وذكر في ترجمة مؤرّخ حلب كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم خبراً آخرَ

---

(١) معجم الأدباء ١٤/١٣٣.

(٢) أنظر (ص ١٠).

(٣) النفاق (بفتح النون): الرواج.

عن نَفاق خطّه بعد عصره أنّ مما رغّب في خطّ ابن العديم أنّه اشترى وجهةً واحدة بخطّ ابن البوّاب بأربعين درهماً، ونقلها الى ورقة عتيقة، ووهبها من حيدر الكتبيّ، فذهب بها وادّعى أنّها بخطّ ابن البوّاب، وباعها بستّين درهماً زيادةً على التي بخطّ ابن البوّاب بعشرين درهماً. ونسخ لياقوت هذه الرقعة بخطّه، فدفع فيها كتّاب الوقت — على أنّها بخطّه — ديناراً مصريّاً، ولم يطب قلبه ببيعها. وكتب له أيضاً جزءاً فيه ثلاثَ عشرة قائمةً، نقلها من خطّ ابن البوّاب، فأعطي فيها أربعين درهماً ناصريّة — قيمتها أربعة دنانير ذهباً — فلم يفعل.

قال ياقوت: وأنا أعرف أنّ ابن البوّاب لم يكن خطّه في أيّامه بهذا النّفاق، ولا بلغ هذا المقدار من الثمن.

وهذه حال جميع النوابغ مع معاصريهم ومساكنيهم فيما يُمْنَوْنَ به من حسدهم وإعراضهم عنهم، وقديماً قال الإمام ابن الجوزيّ يخاطب ناساً من أهل بغداد أعرضوا عنه وأقبلوا على رجل غريب لا يبلغ بلاغه في العلم والأدب والوعظ:

عذيريَ من فتية بالعراق ... قلوبهمُ بالجفا قُلَّبُ
يرون العجيب كلام الغريب ... وقول القريب فلا يعجب
ميازيبهمْ إن تندّت بخير ... إلى غير جيرانهم تقلب
وعذرهمُ عند توبيخهم ... مغنّيةُ الحيّ لا تُطرب!

ذلك أنّ المعاصرة والمساكنة حجاب ساتر، لا يشقّه عن فضل النوابغ إلا الموت، فتعرف حينئذٍ أقدارهم، وتطلب آثارهم، ويتنافس فيها المتنافسون.

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ... لؤماً وخبثاً. فاذا ما ذهب،
لجَّ به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بماء الذهب!!

* * *

٥) محمّد بن أسد — ذكر المؤلّف من خبره أنّ ابن البوّاب أخذ الخطّ منه في حداثته . وهو عند ابن خلكان : أبو عبد الله [١] ، وعند الخطيب البغداديّ وابن الجوزيّ : أبو الحسن [٢] محمّد بن أسد بن عليّ بن سعيد الكاتب المقرىء البزّاز البغداديّ . سمع أبا بكر أحمد بن سليمان [٣] النجاد ، وعليّ بن محمد بن الزبير الكوفيّ ، وجعفراً الخلديّ ، وعبد الملك بن الحسن السقطيّ ، وجماعة من هذه الطبقة . وكان صدوقاً . تُوُفِّيَ يوم الأحد لليلتين خلتا من المُحَرَّم سنة عشر وأربع مئة ، ودفن بالشونيزيّ [٤] .

* * *

٦) محمّد بن السمسمانيّ : عدّه المؤلفُ صاحبَ محمّد بن أسد ، وتلميذه على قول . والمرويّ في الكتب المعتبرة ، كصبح الأعشى ، أنّهما أخذا الخطّ عن الوزير أبي عليّ ابن مقلة ، فهما ـ على هذا ـ صاحبان في التتلمذ له . والسمسمانيّ نسبة الى السمسم ، والوجه أن يقال في المنسوب الى السمسم « سمسمي » ، غير أنّهم جروا بهذه الكلمة وكلمات أخرى ـ كالباقلانيّ والفاكهانيّ ـ على الخطأ [٥] .

وهو ـ على ما في (تحفهٔ خطّاطين) ـ محمد بن علي الشيرازيّ ، ولقب بالسمسمانيّ لأنّه كان يبيع السمسم . وهو ممن أخذوا الخطّ عن محمّد ابن مقلة . وكان أديباً مشهوراً بمعرفة النحو ، توفّي سنة ٤١٥ هـ [٦] .

وكأنّ صاحب التحفة أخذ هذه الترجمة من (بغية الوعاة) للسيوطيّ بشيء من

---

(١) وفيات الأعيان ١/٣٤٥ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢/٨٣ ، والمنتظم ٧/٢٩٦ . وورد في البداية والنهاية : « عبد الله ابن محمد بن أسد .. » وهو من تلاعب النساخ وجهلهم ، وطبعة هذا الكتاب غاية في السقم والتحريف .

(٣) في تاريخ بغداد ، والوافي بالوفيات ٢/٢٠١ : « سلمان » .

(٤) تاريخ بغداد ١٢/١٠ ، ووفيات الأعيان فى ترجمة ابن البواب ١/٣٤٥ ، والمنتظم ٧/٢٩٦ ، وبغية الوعاة (٣٤٣) .

(٥) أنظر درة الغواص ، ووفيات الأعيان ١/٣٣٦ و ٤٨١ .

(٦) تحفهٔ خطاطين (٤٣٠) .

التصرّف ، والزيادة ، أو من مورد آخر مشابه لها ، كما يظهر ذلك بأدنى تأمّل .

قال السيوطيّ : « محمّد بن علي السمسمانيّ ، أبو الحسين النحويّ . قال ابن النجّار : كان أحد النحاة المشهورين بمعرفة الأدب واللغة . روى عن أبي سعيد السيرافيّ ، وأبي الفتح المراغيّ . روى عنه أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازيّ في فوائده . مات يوم الأربعاء خامس محرّم سنة خمس عشرة وأربع مئة [1] » .

وقد خلت هذه الترجمة من نسبته الى شيراز ، ومن ذكر أخذه الخطّ من الوزير ابن مقلة . فمن أين أتى صاحب التحفة بهذه الزيادة الأخيرة خاصّة ؟ أوَليس من الجائز أن يكون محمّد بن السمسمانيّ الخطّاط ، هو غير محمّد بن عليّ السمسمانيّ النحويّ اللغويّ الأديب ؟

إنّ الموارد الميسورة لم تسعفني بما يمكّنني من الجزم بشيء على كثرة بحثي وتنقيري ، فهي شحيحة بسير الخطّاطين و « الفنّانين » الأوائل شحّاً فاضحاً ، وقلّما تُعْنَى بأمرهم .

* * *

٧) محمّد ابن مقلة : خصّه المؤلف ببحث مستقلّ سيأتي ، وتكلّم ـ هناك وفي فصل آخر عقده لشكل الثلث والنسخ قبل ابن البوّاب ـ على إحداثه الانقلاب الأوّل في الخطّ العربيّ من الكوفيّ الى الثلث والنسخ ، وسأحقّق المسألة في موضعها .

* * *

٨) الحسن البصريّ : قال المؤلّف : « ولكنّ الحقيقة أنّ ابن مقلة ليس هو الناقل الأوّل ، وإنّما الناقل الأوّل هو الحسن البصريّ الذي أخذ هذا الخطّ من عليّ بن أبي طالب » .

---

(١) اتفقت بغية الوعاة وتحفهٔ خطاطين على أن وقوع وفاة السمسماني المذكور كان في سنة ٤١٥ ، واضطرب مؤلف « تاريخ الخط العربي وآدابه » فيها بحسب موارده ، فذكر لها سنتين مختلفتين ولم ينتبه لذلك ، فجعلها مرة (ص ٢٤٨) سنة ٤٥٠ هـ ، وأخرى (ص ٣٥٩) سنة ٤١٥ هـ ، والتأريخ الأول مجهول المورد ، والثاني منقول من « تحفهٔ خطاطين » .

وموضع تحقيق هذا ترجمة ابن مقلة .

ص (٧)

٩) ذهب المؤلف الى أنّ وفاة ابن البوّاب كانت في سنة ٤٢٣ هـ ، وعزا ذلك الى ابن خلكان ، ثمّ أورد في الحاشية روايتين : إحداهما تؤيّدها . والأخرى تخالفها وتجعل وفاته في سنة ٤١٣ . ثمّ عاد في الصفحة الثامنة فروى عن (عالي) في (مناقب أصحاب المواهب) أنّها كانت في سنة ٤١٣ هـ .

والتحقيق أنّ ابن خلكان قد روى الروايتين كلتيهما ، ولم يقتصر على واحدة منهما كما يوهمه كلام المؤلف ، فقال : « توفّي ابن البوّاب يوم الخميس ثاني جُمادىٰ الأولى سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة ، وقيل : ثلاثَ عشرةَ وأربع مئة ببغداد ، ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل — رضي الله عنه — » .

وممّن روى الروايتين معاً ، الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ، غير أنّه عكس الأمر فجعل الأصل سنة ٤١٣ هـ في جُمادىٰ الأولى ، وهذا هو الصحيح ، وجعل سنة ٤٢٣ هـ الفرعَ ، حاكياً القول بها بصيغة التمريض : « قيل » .

وممن اقتصروا على سنة ٤١٣ : ابن الجوزيّ في المنتظم ، وابن العماد في شذرات الذهب ، وابن الفوطيّ في تلخيص مجمع الآداب ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة . وقد نصّ الأوّل على وقوع وفاته يوم السبت ثاني جمادى الآخرة من هذه السنة ، ونصّ الثاني والثالث على جُمادى الأولى مع ذكر السنة ، وأغفل الرابع تسمية الشهر .

وأغرب المؤرّخ ابن الأثير ، فترجمه في وفيات سنة ٤١٢ هـ من تاريخه (الكامل) ، وذكر وفاته في سنة ٤١٣ هـ على سبيل التضعيف لها .

والتحقيق أنّ وفاة ابن البوّاب إنّما وقعت في جُمادَىٰ الأولى ـ ومن الجائز أن تكون في ثانيه يوم الخميس ـ سنة ٤١٣ هـ كما روى ذلك معاصره هلال بن المحسّن بن الصابىء (٣٥٩ — ٤٤٨ هـ) فيما أثره عنه ياقوت ، وهو ينصّ أنّها كانت في خلافة

القادر بالله ، ولم يبلغ القادر بالله سنة ٤٢٣ هـ ، ذلك أنّه بويع بالخلافة في ١٤ رمضان ٣٨١ هـ (٣ أكتوبر ٩٧٤ م) ، وتوفّي وهو خليفة في سلخ ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ (١٨ دسمبر ١٠٣١ م).

* * *

١١) أشار المؤلّف الى رثاء الشعراء لابن البوّاب ، وأحال على الكتب التي تبحث في الخطّ الجميل . ولو قال : « في كتب التاريخ أو الرجال » ، لأصاب .

وأنا أورد ها هنا ما ظفرت به من هذه المراثي ، لأنّها تصوّر عرفان الطبقة المستنيرة من أهل عصره ممن برؤوا من داء الحسد .. قدره ، وفضله ، ونبوغه في فنّه ، استيفاءً للترجمة ، وتوضيحاً لأثر صاحبها في تجميل الخطّ العربيّ :

أ) بيتان وردا في (وَفَيات الأعيان) ، و (البداية والنهاية) ، و (شذرات الذهب) ، و (صبح الأعشى) ؛ ولم يُسَمَّ فيهما قائلهما ، واستحسن صاحب الوَفَيات معناهما غاية الاستحسان ، وهما :

استشعر [1] الكتّابُ فقدَك سالفاً — وقضت [2] بصحّة ذلك الأيّامُ

فلذاك سُوِّدَتِ الدُّوِيُّ كآبةً [3] — أسفاً عليك ، وشُقّت الأقلامُ

ب) مرثية للشريف المرتضى أبي القاسم علي بن أبي أحمد الحسين الموسويّ ، نقيب الطالبيّين ببغداد ، المتوفّى سنة ٤٣٦ هـ . وهي مرثية باكية في ٣٥ بيتاً [4] تعبّر عن تقدير عظيم وعاطفة صادقة ، اختار منها أبو الفرج بن الجوزيّ في تأريخه (المنتظم) بيتين ، وياقوت الحمويّ في (معجم الأدباء) ستة أبيات . وهي في ديوانه ولم يطبع بعد . وقد آثرت روايتها ها هنا ، لدلالتها التامّة على إكبار الشاعر الفقيه قدر هذا النابغة البغداديّ ، وفي بعض

---

(١) زيد عليه — في البداية والنهاية — تاء التأنيث ، فأخلت بوزن الشطر ، وما أكثر الأوهام في طبعة هذا الكتاب !

(٢) صبح الأعشى : « جرت » . (٣) صبح الأعشى : « وجوهها » .

(٤) في نسخة ديوانه المخطوطة ٣٤ ، وقد زدناها بيتاً وجدناه في معجم الأدباء .

أبياتها ما يشير الى آخترام المنيّة له شابّاً ، أو كهلاً لم ينل منه الكبر . قال :

من مثلها كنت تخشى أيُّها الحذرُ ... والدهرُ إن همَّ لا يُبقي ولا يذرُ
نعاك ناعٍ إلى قلبٍ كأنّ به ... لواذعَ الجمر لمّا ساءه الخبرُ
فلم يكن ليَ إلّا أن أقولَ له : ... بفيك ـ ناعيَ هذا الراحلِ ـ الحجرُ !
كم ذا نداء لماضٍ غير ملتفت ... وكم عتاب لجانٍ ليس يعتذرُ
فكلّما آستلّ منّا صاحب ، فمضى ... ولا إيابَ له ، قالوا : هو القدرُ !
وليس يدري الفتى لِمْ طال عمر فتى ؟ ... ولا لأيّة حال ينقضي العمرُ ؟
وقد طُلبنا فلا نجح ولا ظفرٌ ... وقد هربنا فلا منجى ولا عصَرُ (١)
وهذه عبرةٌ لا شكّ ماثلة ... منّا العيونَ ، ولكنْ أين معتبرُ ؟
نُعَلُّ من كلّ مكروه ، ويملكنا ... حبُّ الحياة التي أيّامها غَرَرُ
وما آلتزام المنى ، والمرء رهن ردى ، ... الّا جنون يغول العقل أو سُكُرُ
يا قاتل اللهُ هذا الدهرَ : يزرعنا ... ثمّ الحصاد ، فمنه النفع والضررُ ؟!
فإنْ يكن معطياً شيئاً فمرتجعٌ ... وإن يكن مبطئاً يوماً فمبتدرُ
داءٌ عرا آل قحطان ، فزال بهم ، ... وذاق منه نزارٌ ، وآحتسى مُضَرُ
من بعد أن لبسوا التيجان وآعتصموا ... وأركبوا ثبَجَ الأعواد وآشتهروا
وأوسعوا الناس من رَغَب ومن رَهَب ... وعاقبوا باجترام الذنب وآغتفروا
تندى مفارقُهم مسكاً ، فإنْ جهلوا ... نمّتْ عليها بريّا نشرها الأُزُرُ
ويسحبُون ذيولَ الرّيطِ ضامنةً ... أنْ ليس تسحب إلّا منهم الحبَرُ

***

قالوا : قضى غيرَ ذي ضعف ولا خوَرٍ ... فقلت : ما كلّ أسباب الردى كِبَرُ
وغرّني فيك برءٌ بعد طول ضنى ... ومن يبت خطِراً أودى به خطَرُ

(١) العصر : هو الملجأ .

[رُدّيتَ يا ابنَ هلالٍ، والرّدى غرضٌ   لم يُحْمَ منه على سُخطٍ له البَشَرُ[1]]

ما ضرّ فقدك والأيّام شاهدةٌ   بأنّ فضلك فيها الأنجم الزُّهُرُ *؟

أغنيت في الأرض والأقوام كلّهم   من المحاسن ما لم يغنه المطرُ *

فأنت شمس الضّحى للسارين، وللسارين في جنح ليلٍ ضوؤك القمر

إن تُمْسِ مَيْتاً بلا سمع ولا بصر   فطالما كنت أنت السمع والبصرُ

وإن تبت حَصِراً عن قول فاضلة   فطالما لم يكن من دأبك الحَصَرُ

قالوا: اصطبرْ عنه يأساً، أو مجاملةً،   والصَّبْرُ يُلْعَقُ في أثنائه الصَّبِرُ!

ولو درى مَن على حزنٍ يقرّعني   بمن فُجِعت ومَنْ خولِستُهُ، عَذَرُوا

وكيف أسلو وما في غيره عِوَضٌ   من الرجال، ولا لي عنه مصطَبَرُ؟

وكيف لي بعدَهُ ميلٌ الى وَطَرٍ   وليس لي أبداً في غيره وَطَرُ

مجاوراً دارَ قومٍ، ليس جارُهُمُ   بنصرهم أبدَ الأيّام ينتصرُ

في أربُعٍ كلّما زادوا بها نقصوا   نقصَ الفناء، وقلّوا كلّما كَثُروا

فاذهَبْ كما شاءت الأقدار مقتلعاً   منّا به الخوف، مجنوباً به الحَذَرُ

** فالقلوب التي أبهجتَها حَزَنٌ   وبالعيون[2] التي أقررتَها سَهَرُ *

** وما لعيشٍ، وقد ودّعتَهُ، أرجٌ   ولا لليل، وقد فارقته، سَحَرُ *

وما لنا — بعد أن أضحت مطالعُنا   مسلوبةً منك — أوضاحٌ ولا غُرَرُ

* * *

١١) بيت أبي العلاء المَعَرّيّ :

---

(١) الزيادة من معجم الأدباء .

(٢) في المنتظم ، ومعجم الأدباء ، وتلخيص مجمع الآداب ، والبداية والنهاية : « وللعيون » .

* اشارة الى الأبيات التي اختارها ياقوت .

** اشارة الى البيتين اللذين اختارهما أبو الفرج بن الجوزي .

(ولاح هلال مثل نون أجادها بماء النُّضار الكاتبُ ٱبنُ هلالِ)

هو من قصيدته في (سقط الزند) :

طَرِبْنَ لضوءِ البارقِ المتعالي بـ (بغدادَ) وَهْناً ، مالهنّ ومالي ؟

وهي في ٥١ بيتاً ، هو فيها البيت السادس عشر في طبعة مصريّة [1] ، والرابع والثلاثون في نسخة مخطوطة من سقط الزند عندي بخطّ الشاعر الفقيه الشيخ حسين بن عليّ العُشاريّ البغداديّ ، كتبها في سنة ١١٧٥ هـ ؛ وفي طبعة حديثة ببيروت [2] ، وكذلك في (شرح التنوير على سقط الزند [3]) .

وقد ورد في هذه النسخ الثلاث : « بجاري النُّضار » مكانَ قوله : « بماء النُّضار » .

وقال صاحب (شرح التنوير) في تفسير البيت :

« ابن هلال : هو عليّ بن هلال المعروف بٱبن البوّاب . شبّه هلال رجب بنون خطّ ٱبن البوّاب بالنّضار الجاري ، أي بماء الذهب » .

* * *

١٢) كتاب كوشي الروضِ ، خطّت سطورَهُ

يدُ ٱبن هلالٍ عن فمِ ٱبنِ هلالِ

أورد ٱبن خلكان هذا البيت في ترجمة ٱبن البوّاب في (وَفَيات الأعيان) ، وقال :

« سألني بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخّرين من جملة أبيات في صفة كتاب :

---

(١) ١٠١ ، طبعة مطبعة أمين هندية ، ١٣١٩ هـ .

(٢) ٢٤٧ ، طبعة دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٧ هـ .

(٣) ٢/٤٤ ، طبعة جمعية المعارف بمصر ، ١٢٨٦ هـ .

كتابٌ كوشيِ الروضِ ، خطّت سطورَهُ

يَدُ ٱبنِ هلالٍ عن فمِ ٱبنِ هلالِ

فقلت له : هذا يقول إنّ خطّه في الحسن مثل خطّ ٱبن البوّاب ، وفي بلاغة ألفاظه مثل رسائل الصابىء ؛ لأنّه ٱبن هلال أيضاً .

قال : ثمّ سألت الفقيه المذكور عن بقيّة الأبيات التي منها هذا البيت ، فأنشدنيها . وهي :

وَلَمّا أتى منك الكتابُ الذي حوى قلائدَ سحرٍ للبيان حلالِ

وَقَفْتُ على ربعٍ من الفضل آهلٍ وقوفي بربعٍ للأحبّةِ خالي

أرقرقُ من دمعي ، وأُدمنُ لثمه ، وأسأل أطلالاً تجيب سؤالي

وهِمْتُ به حتّى توهّمتُ لفظه نجومَ ليالٍ أو [1] سُمُوطَ لآلي

كتابٌ كوشيِ الروضِ ، خطّت سُطُورَهُ

يَدُ ٱبْنِ هلالٍ عن فمِ ٱبنِ هلالِ [2] » .

* * *

١٣) ويضاف الى هذين البيتين ـ بيتِ المَعَرّيّ والبيت السابق اللذين ضُرب فيهما خطّ ٱبن البوّاب مثلاً في الجودة ـ بيتان رواهما ياقوت [3] لبعض المتأخرين ، وقد ضرب ٱبن البوّاب مثلاً أيضاً ، فقال يمدح بجودة الخطّ رجلاً يعرف بٱبن بدر :

يا ٱبنَ بدرٍ ، علوتَ في الخطّ قدراً حينما قايسوك بـ (ٱبنِ هلالِ)

ذاك يحكي أباه في النقص لمّا جئتَ تحكي أباك عند الكمال

* * *

(١) في وفيات الأعيان : « أم » .

(٢) وفيات الأعيان ١/٢٤٦ .

(٣) معجم الأدباء ١٥/١٢٩ .

١٤) ابراهيم بن هلال الصابىء : هو أبو اسحاق الحرّاني الصابىء ، كاتب ديوان الرسائل ببغـــداد . مولده سنة ٣١٣ هـ ، ووفاته في سنة ٣٨٤ هـ . وله من التصانيف كتاب رسائله وهو مشهور ، نحو ألف ورقة ، نشر الأمير شكيب أرسلان — رحمه الله — جزءاً منه ؛ وكتاب ديوان شعره ، وكتاب أخبـــار أهله ، وكتاب اختيار شعر المهلّبي ، و(التاجي (١)) في أخبار بني بُوَيْه الديلميّين : أمره عضد الدولة بصنعه له ، ويقال : إنّ صديقاً لأبي إسحاق دخل عليه ، فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض ، فسأله عمّا يعمل ، فقال : « أباطيل أنمّقها ، وأكاذيب ألفّقها » ، فنمي ذلك الى عضد الدولة ، فهيّج حقده عليه ، ولم يزل مبعداً في أيّامه .

وكان الصابىء متشدّداً في دينه ، وجهد عليه عزّ الدولة البويهي أن يُسلم فلم يفعل . وكان — مع ذلك — يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ ، ويستشهد بآياته في رسائله . ولمّا مات ، رثاه الشريف الرضيّ ، فعيب في ذلك ، لكونه شريفاً يرثي صابئاً ، فقال : أنا رثيت فضله .

وترجمته في فهرست ابن النديم ١٩٣ (طبعة مصر) ، ويتيمة الدهر ٢/٢١٨ ، ومعجم الأدباء ٢/٢٠ ، ووفيات الأعيان ١/١٢ ، والبداية والنهاية ١١/٣١٣ ، والشذرات ٣/١٠٧ (وفيها كلام على معنى الصابىء واشتقاقه) ، وتأريخ آداب اللغة العربية ٢/٢٧٣ ، وغيرها .

* * *

١٥) سرّيّ الدين رامي التبريزي في أنيس العشاق : هكذا ورد هذا الاسم في ترجمة ابن البوّاب في (تحفهٔ خطّاطين (٢)) ، وعنها نقله المؤلف وقرأه بكسر السين وتشديد الراء كما تدلّ على ذلك كتابته له بالحروف اللاتينية (Sirriyüddin) .

---

(١) نسبة الى تاج الملة من ألقاب عضد الدولة .

(٢) ص ٣٣٢ .

والثابت عندي أنّ أُسم مؤلّف (أنيس العشّاق) إنّما هو حسن بن محمّد ، وقد لقّب بالشرف ، واشتهر بالرامي ؛ لا يعرف له من الأسماء والألقاب غير ذلك .

وقد ذُكر بكلّ هذا في الكتب العربيّة والتركيّة والانكليزيّة الآتية :

١) « كشف الظنون » في الكلام على كتابه (أنيس العشّاق [١]) .

٢) « قاموس الأعلام[٢] » للمؤرّخ التركيّ شمس الدين سامي ، وقد ترجم له في حرف الراء بشهرته — رامي — ترجمةً مختصرةً تشبه أن تكون منقولة من كشف الظنون ، إلّا أنّه سُمّي فيه « حسن بن محمّد شرف » ، وهو في كشف الظنون وفي الكتابين الآتي ذكرهما « حسن بن محمّد ، الملقّب بالشرف ، المشهور بالرامي » .

٣) « تأريخ الأدب الفارسيّ [٣] » (A Literary History of Persia) تأليف المستشرق الانكليزيّ براون (Edward g. Brawne) .

٤) « فهرست المخطوطات الفارسيّة في المتحف البريطانيّ » [٤] (Catalogue of The Persian Manuscripts in The British Museum) وضع Charles Riew

***

أمّا كتابه (أنيس العشّاق) ، فقد ألّفه في مراغة بأذربيجان [٥] لأبي الفتح أويس بهادر ، وفرغ منه في شوّال سنة ٨٢٦ هـ [٦] ، ورتّبه على تسعة عشر باباً في أوصاف المحبوب

(١) ١٩٨/١ من طبعة وكالة المعارف التركية .

(٢) ٢٢٥٦/٣ .

(٣) ٨٣/٢ و ٤٦٢/٣ .

(٤) ٨١٤/٢ ، لندن ، ١٨٨١ م .

(٥) ٤٦٢/٣ A Literary History of Persia

(٦) كشف الظنون ١٩٨/١ ، و A Literary History of Persia ، و Catalogue of The Persian Manuscripts in The British Museum وقد أثار واضع هذا الكتاب الشبهة حول هذا التاريخ ، وليس هذا موضع تحقيقه .

وأعضائه [١] ، فتناول وصف الشعر والجبين والحواجب والعيون والأهداب والوجه والشفاه والخدود والخيلان والأسنان والفم والحنك والرقبة والنهود والذراع والأصابع والخصر والسيقان . وهو يذكر في كلّ فصل مصطلحات العرب والفرس في أوصافها ، ويميّز ما بينها من فروق اذا وُجدت ، ثمّ يورد الاستعارات والكنايات التي استعملها الكُتّاب الذين نقل كلامهم ، ويؤيّدها بالشواهد الشعريّة . فالحاجبان مثلاً قد يتّصلان فوق الأنف فيعدّ اتّصالهما من أمارات الجمال ، أو ينفصلان فيكون الحاجب كالهلال ، ويشبّه بالقوس أو بالطيقان أو بالمحراب ، أو يشبّه بحرف النون ، وهلمّ جرّا [٢] .

ولهذا الكتاب شأن عند الفرس والترك والفرنجة ، فقد نقله بعض أدباء الترك الى لغتهم على ما سمعت ذلك ولم أتحقّقه بنفسي ، وترجمه كليمان هوار أستاذ الفارسيّة في مدرسة اللغات الشرقيّة بباريس الى الفرنسيّة وطبعه بباريس سنة ١٨٧٥ م ، وأشاد به المستشرق الإنكليزيّ براون في موضعين من كتابه تاريخ الأدب الفارسيّ [٣] ، وحض دارسي الشعر الفارسيّ على مطالعة هذ « الكتاب العجيب » ، بل حتّم عليهم الوقوف عليه .

* * *

١٦) روى المؤلّف عن سليمان سعد الدين أفندي في (تحفهٔ خطّاطين) أنّ لابن البوّاب قصيدةً رائيّة جليلة ، ضمّنها قواعد علم الخطّ ، وشرحها كثير من العلماء ... ثمّ قال : « وقد ذكرها ابن خلدون في تأريخه ، وعدّتها ثمانية وعشرون بيتاً » ، وأورد المطلع [٤] .

قلت : أمّا المنظومة ، فقد تكلم عليها كاتب چلبي في (كشف الظنون) ، وقال :

---

(١) كشف الظنون ١/١٩٨ .

(٢) « A Literary History of Persia » باختصار .

(٣) ٢/٨٣ و ٣/٤٦٢ .

(٤) هذا المطلع هو آخر ترجمة ابن البواب في كتاب (تحفهٔ خطاطين) الذي اعتمد عليه الدكتور سهيل أنور .

« وصفها الأدباء بغاية البلاغة ، وقد أستقصى فيها (أبن البوّاب) أدوات الخطّ » . ثمّ أورد منها بيتين .

وعرض لها أيضاً العلّامة آبن خلدون في مقدّمته المشهورة ، في كلامه على الخطّ والكتابة ، فقال : « وللأستاذ أبي الحسن عليّ بن هلال الكاتب البغداديّ الشهير بآبن البوّاب ، قصيدة من البحر البسيط[1] على رويّ الراء ، يذكر فيها صناعة الخطّ وموادّها ، من أحسن ما كُتب في ذلك . رأيت إثباتها في هذا الكتاب من هذا الباب ، لينتفع بها مَنْ يريد تعلّم هذه الصّناعة » .

وأما شروحها ، فلم يُذكَر منها — عند الكلام على المنظومة نفسها في (كشف الظنون) — غير شرح واحد للشيخ برهان الدين بن عمر الجعبريّ ، المتوفّى سنة ٧٣٢ هـ ، ولم يسمّ فيه ، وسمّي في (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون) بآسم (رسم البرهان ...) ، وللآسم بقيّة محرّفة غير مفهومة .

وذُكر لها في (إيضاح المكنون) هذا شرح ثانٍ لشرف الدين محمّد بن شريف بن يوسف الكاتب المعروف بآبن الوحيد ، المتوفّى سنة ٧١١ هـ ، ولم يُسَمَّ فيه .

ولم تكشف مَظانٌّ وجود هذين الشرحين بعدُ .

وأمّا آبن خلدون ، فإنّه إنّما أثبت هذه المنظومة في (مقدّمته) لا في (تاريخه) ، وعدّة أبياتها فيها (ثلاثة وعشرون بيتاً) لا (ثمانية وعشرون) .

على أنّ هذه المنظومة قد سقطت في طبعات البلاد العربيّة لمقدّمة آبن خلدون ، وأغفلت معها فقر كثيرة مهمّة من هذا الفصل — فصل الخطّ والكتابة — خاصّةً ، وأُثبتت في الطبعة الباريسيّة ، طبعة كاترمير ، وحدها . وهي نادرة الوجود .

وقد فطن الأستاذ الحصريّ لذلك في كتابه : (دراسات عن[2] مقدّمة آبن

---

(١) كذا ، والصواب من البحر الكامل . (٢) الصحيح « في » .

خلدون [1]) ، فنبّه عليه ، ونقل المنظومة الى كتابه مع الفقر الساقطة في الطبعات العربيّة ، غير أنّه عرض لنقله شيء من أوهام الطبع ومن المخالفة لنصّ كاترمير .

كذلك رواها محمّد طاهر الكرديّ المكيّ الخطّاط في (تاريخ الخطّ العربيّ وآدابه [2]) في تحريف غير قليل ، ولم يذكر المورد الذي نقلها منه .

ولمّا كانت المنظومة من أهمّ آثار ابن البوّاب الأدبيّة ، التي عبرت القرون الخوالي الينا ، وكان هذا حالها : من الإغفال في معظم طبعات هذا الكتاب الوحيد الذي عرفناه معنيّاً بها ، ومن التحريف الطارىء عليها من الناقلين والطابعين ... آثرت إثباتها هنا محقّقةً محرّرةً ، منبّهاً في الحواشي على تحريفاتها وأوهامها [3] ، استيفاءً للبحث .

وهي [4] :

يا مَنْ يُريدُ إجادةَ [5] التحريرِ ... ويرومُ حُسْنَ الخطِّ والتصويرِ
إنْ كانَ عزمُك في الكتابة صادقاً ... فارْغَبْ إلى مولاكَ في التيسيرِ
أَعدِدْ من الأقلام كُلَّ مُثقَّفٍ ... صُلْبٍ يصوغُ صِناعةَ [6] التحبيرِ
وإذا [7] عَمَدْتَ لِبَرْيِهِ ، فَتَوَخَّه [8] ... عندَ القياس بأوسطِ التقديرِ

---

(١) الطبعة الموسعة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ .

(٢) ص ٤٢٨ — ٤٢٩ ، المطبعة التجارية الحديثة بمصر ، ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) .

(٣) سأرمز عن طبعة كاترمير بـ (ك) ، وعن كتاب الحصري بـ (د) ، وعن تاريخ الخط العربي وآدابه بـ (ت) .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٢/٣٤٦ ، طبعة كاترمير .

(٥) كان في أصل المؤلف بالحروف العربية « إجارة » ، فجملته هناك « إجازة » ، ولها تخريج مقبول .

(٦) ت : « صياغة » .

(٧) د : « إذا » بغير واو ، خلافاً لطبعة كاترمير ، وإسقاطه يخل بوزن البيت .

(٨) ت : « فقوضه » ، وهو تحريف أخل بوزن الشطر ، وقد نبه عليه في الحاشية ، لكنه لم يهتد إلى صوابه .

أنْـظُـر إلى طَرَفَيْـهِ ، فاجْعَلْ بَرْيَهُ

من جانبِ التدقيقِ والتخصيرِ [1]

واجعَلْ لجلفته [2] قواماً عادلاً يخلو [3] عن التطويلِ والتقصيرِ

والشقَّ وسِّطْهُ ليبقى بَرْيُهُ [4] من جانبيْهِ مُشاكلَ التقديرِ

حتّى إذا أتقنتَ ذلك كُلَّهُ إتقانَ طَبٍّ بالمَوادِّ خبيرِ

فاصرفْ لرأيِ القطِّ عزمَكَ كُلَّهُ فالقطُّ فيه جملةُ التدبيرِ

لا تَطْمَعَنْ [5] في أنْ أبوحَ بسرِّهِ

إنّي أضِنُّ بسرِّهِ المستورِ

لكنَّ جملةَ ما أقولُ بأنّه ما بين تحريفٍ الى تدويرِ [6]

وأَلِقْ دواتك بالدُّخان مُدَبِّراً بالخَلِّ أو بالحِصْرِمِ المعصورِ

وأَضِفْ اليه مَغْرَةً قد صُوِّلتْ مع أصفرِ الزرنيخِ والكافورِ

حتّى إذا ما خُمِّرَتْ ، فاعمَدْ الى الـ

ـورقِ [7] النقيِّ الناعمِ المخبورِ

فاكبِسْهُ بعد القَطْعِ بالمِعْصارِ [8] كَيْ

ينأى عن التشعيثِ والتغييرِ

ثمَّ اجْعَلِ التمثيلَ دأبك صابراً ما أدْرَكَ المأمولَ مثلُ صبورِ

---

(١) ت : « والتحفير » ، ولست أرى له معنى هاهنا .

(٢) ت : « لحلفته » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) د : « يخللو » ، وهو من غلط الطبع .

(٤) د : « بربه » .

(٥) شددت نون التوكيد الخفيفة هذه في (د) ، فاختل الوزن .

(٦) د : « التدوير » ، خلافاً لطبعة كاترمير التي نقل النص منها .

(٧) البيت مداخل ، فلا تجوز كتابة « الورق » في الشطر الثاني كما في « د » .

(٨) ت : « بالمعاصر » ، وهو يخل بالوزن .

إبْدَأْ به في اللَّوحِ منتضياً [1] له   عزماً تجرّدُهُ عن التشميرِ
لا تخجلَنَّ من الرديء [2] تخطّه [3]   في أوّلِ التمثيلِ [4] والتسطيرِ
فالأمرُ يصعُبُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ هيّناً   ولرُبَّ سهلٍ جاء بعدَ عسيرِ
حتّى إذا أدركتَ ما أمّلْتَهُ   أضحيتَ [5] رَبَّ مَسَرّةٍ وحُبُورِ
فاشكُرْ إلهكَ واتّبعْ رِضْوانَهُ   إنَّ الإلهَ يُجيبُ [6] كُلَّ شكُورِ
وارْغَبْ لِكفّكَ أنْ تخُطَّ بنانُها [7]   خيراً تخلّفُهُ بدارِ غُرُورِ
فجميعُ فعلِ المرءِ يلقاهُ غداً   عند التقاءِ كتابه المنشورِ

ص (٨)

١٧) قال المؤلّف : « ويروى أنّه (أي ابن البوّاب) كتب أربعة وستّين مُصْحَفاً ، غير أنّنا لم نَرَ شيئاً منها » .

قلت : جاء في (دائرة المعارف الإسلاميّة) ما يؤيّد هذه الرواية ، وفيها أنّ ابن البوّاب كتب أحد هذه المصاحف بالخطّ الريحانيّ ، وأنّ السلطان سليماً الأوّل العثمانيّ أهدى هذا المصحف الى جامع (لاله لي) في استنبول ، وهو محفوظ فيه [8] .

---

(١) د : « منتضباً » بالباء الموحدة ، ولا معنى له .
(٢) د : « الردى » .
(٣) ت : « تخطته » ، وهو تحريف .
(٤) ك : « والتمثيل » مع واو العطف ، ونقل على الصحة في (د) .
(٥) ت : « أصبحت » .
(٦) ت : « يحب » ، وهو الصواب .
(٧) ت : « نباتها » ، وهو تحريف ظاهر .
(٨) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، ١٠٣/١ .

والخطّ الريحانيّ الذي كتب به ابن البوّاب هذا المصحف ، هو مبتدعه [1]. وهو الخطّ الديوانيّ نفسه ، إلّا أنّه يختلف عنه بتداخل حروفه بعضها في بعض بأوضاع متناسبة متناسقة ، ولا سيّما ألفاته ولامه ، فإنّ تداخلها بعضها في بعض يشبه أعواد الريحان ، ولذلك سمّي هذا الخطّ قديماً بالريحانيّ ، وفي عصرنا أطلق عليه الخطّ الغزلانيّ نسبةً الى مصطفى غزلان الخطّاط المصريّ ، المتوفّى في أواخر سنة ١٣٥٦ هـ [2] ، فإنّه كان يتقنه إتقاناً عظيماً ، وله ذوق سليم فيه [3] .

* * *

١٨) ميزان الخطّ على وضع أستاذ السلف : كتب الينا الدكتور سهيل أنور في صفة هذا الكتاب :

« في هذا الكتاب تعريف بكيفيّة رسم حرف الثلث ، وهو مكتوب باللغة العربيّة . وهو من الكتب التي وَقَفْتُها على مكتبة معهد تاريخ الطبّ بجامعة استنبول . لم يذكر فيه اسم مؤلّفه .

وهذه النسخة استنسخها محمد روش أفندي بن شيخ تكية هُدائي في أسكدار ، في سنة ١٢٤٧ هـ » .

* * *

١٩) ياقوت المستعصميّ : سيأتي الكلام عليه .

* * *

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١/١٠٣ . وفي رسالة الكتابة المنسوبة ، المنشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية ١/١٢٣ من سنتها الأولى ، في الكلام على خط ابن البواب : « ثم برع في الثلث وخفيفه ، وأبدع في الرقاع والريحاني وتلطيفه .. » .

(٢) ترجمته في تاريخ الخط العربي وآدابه ٣٩١ .

(٣) تاريخ الخط العربي وآدابه ١٢١ ، وفيه مثال لهذا الخط .

ص (٩)

٢٠) قصيدة البرأة : يريد قصيدة (البُرْدَة) المشهورة ، التي مدح بها البُوصيريّ[١] رسولَ الله — صلّى الله عليه وسلّم — ، وافتتحها بهذا البيت :

أمِن تذكّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ
مزجْتَ دمعًا جرى من مُقلةٍ بدمِ

وهي أسير قصيدة قيلت في مدح الرسول ووصف شمائله الزكيّة . فقد ذاعت في مختلف الأقطار الإسلاميّة ذيوعًا عظيمًا لم يُتَحْ مثله لقصيدة أخرى في بابها ، فغُنِّيت بها الجماهير الشعبيّة ، وحفظتها الخاصّة والعامّة ، ورتّلها المرتّلون في المحافل كأنّها نشيد الأناشيد ، وتبارى الخطّاطون البارعون في نسخها كلّها أو بعضها ، وحُلّيت كتابتها بالذهب على نحو ما يصنع المتفنّنون بنسخ المُصْحَف الشريف ، وتهاداها الكبراء ، وذُكر أنّها كانت جزءاً من الهديّة التي قدّمها ابن خلدون الى تيمورلنك[٢] ، وطبعتها في هذا العصر مطابع مكة والقاهرة والأستانة وبمباي وفينا وغيرها ، وطبعت في القاهرة نحو خمسين مرّة[٣] ، وشرحها

(١) الشاعر المصري المشهور محمد بن سعيد بن حماد ، وهو منسوب الى أبو صير بمصر . ولد سنة ٦٠٨ هـ ، وكان يعاني صناعة الكتابة والتصرف ، وباشر الشرقية ببلبيس ، وتوفي بالاسكندرية سنة ٦٩٧ هـ . وله ديوان شعر مخطوط ، ومنه نسخة في مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد ، وقد اشتهر بمدائحه للرسول — عليه الصلاة والسلام — : الهمزية (*) ، واللامية المعروفة ببانت سعاد ، والبردة . وترجمته في فوات الوفيات ٢/٤١٢ ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٥١ .

(٢) الموازنة بين الشعراء ١٧٢ .

(٣) المدائح النبوية في الأدب العربي ١٦٢ .

(*) قال جرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » ٣/١٢٠ : « وله قصيدة همزية في ذكر المعاد على وزن (بانت سعاد) » . وهذا كلام غريب جداً ، فان الهمزية التي يشير اليها هي في مدح الرسول ، وليست في ذكر المعاد ، وهي من البحر الخفيف ، ومطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء ؟

وقصيدته التي على وزن (بانت سعاد) وقافيتها أيضاً ، إنما هي من البحر البسيط ، وشتان وزن هذه ووزن تلك ، بله قافيتيهما .

الأُدباء من قدماء ومُحْدَثينَ شروحاً كثيرة جدّاً [1] ، وتجاذبها كِبار الشعراء منذ عصر البوصيريّ الى عصرنا تضميناً وتشطيراً وتخميساً وتسبيعاً وتعشيراً ومعارضة ، وكان آخر من عارضها في عصر النهضة الحديثة : محمود سامي البارودي ، وسمّى قصيدته (كشف الغُمّة في مدح سيّد الأُمّة) ، وعدد أبيات هذه القصيدة ٤٤٧ بيتاً ثمّ أمير الشعراء أحمد شوقي ، وسمّى قصيدته (نهج البردة) [2].

وقد حدّث البوصيريّ عن سبب وضعه للبردة فقال : « كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله — صلّى الله عليه وسلَّم — ، منها : ما كان اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ، ثمّ اتّفق بعد ذلك أن أصابني فالج أبطل نصفي ، ففكّرت في عمل قصيدتي هذه (البردة) ، فعملتها ، واستشفعت بها الى الله تعالى في أن يعافيني ، وكرّرت إنشادها ، وبكيت ، ودعوت ، وتوسّلت ، ونمت فرأيت النبيّ — صلّى الله عليه وسلم — ، فمسح على وجهي بيده المباركة ، وألقى عليّ (بردةً) . فانتبهت ، ووجدت فيَّ نهضة ، فقمت وخرجت من بيتي [3] » إلى آخر ما روى من منامه ، وما استتبع شيوع هذا المنام من قصص دعا الناسَ إلى تسميتها (بالبردة) [4] .

على أنّ البوصيريّ نفسه سمّاها تسمية أخرى أيضاً ، هي : (الكواكب الدرّيّة في مدح خير البرّيّة) . غير أنّ الشيوع كان لاسم البردة ، لخفّته على اللسان ، وسمّيت شروحها بمثل : (وردة المليح في شرح بردة المديح) ، و (الجوهرة الفردة في شرح البردة) ، و (الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة) ، و (عصيدة الشهدة في شرح البردة) ، و (الرقم

---

(١) كشف الظنون ٢/١٣٣١ — ١٣٣٦ .

(٢) الموازنة بين الشعراء ، والمدائح النبوية في الأدب العربي ، وديوان البارودي (م ٢) ، وديوان أحمد شوقي (م ١) .

(٣) الوافي بالوفيات ٢/٤١٨ .

(٤) الوافي بالوفيات ٢/٤١٩ ، وكشف الظنون ٢/١٣٣١ .

على البردة) ، كما سمّيت أحيانًا بمثل (مشارق الأنوار المضيّة في شـــرح الكواكب الدرّيّة)[1] ...

لكن جرى على لسان كتّاب الترك — قديمًا وحديثًا — تسمية هـــذه القصيدة بـ (البرأة) ، كالذي سمّاها به المؤلّف تبعًا لسلفه من علماء الترك ، مثل مستقيم زاده سليمان سعد الدين أفندي ، المتوفّى سنة ١٢٠٢ هـ [2] ، الذي خمّس القصيدة ، وشرحها أيضًا وسمّى شرحه (شرح قصيدهٔ بُرْئَه) [3] .

وأدركت في عهدٍ مضى أناسًا من المعنيّين بالعربيّة ببغداد ، يسمّون قصيدة كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى « بانت سعاد » (البردةَ) ؛ لأنّ الرسول — عليه الصلاة والسلام — خلع على الشاعر بردته حين فرغ من إنشاده لها بحضرته ، ويسمّون قصيدة البوصيريّ هـذه (البرأة) محاكاةً للترك .

ويبدو لي أنّ الترك أخذوا هذه التسمية من مضمون حكاية الشاعر سبب نظمه للقصيدة ، وما اتّفق له على أثر ذلك من البُرْء من الفالج الذي أصابه . ولكن ، لا يعرف من معنى للفظ (البُرْأة) في لغـــة العرب غير قُتْرَةِ الصائد التي يكمُنُ فيها ، والجمع (بُرَأ)[4] ، فما أبعدَ هذا مما أرادوه !

---

(١) كشف الظنون ٢/١٣٣١ .

(٢) مقدمة ابن الأمين محمود كمال لكتاب (تحفهٔ خطاطين) — ص ١٥ — ، وفي تاريخ الخط العربي وآدابه (ص ٢٩٤ ، ٣٣١) : سنة ١٢٠٣ ، وهو خطأ .

(٣) تحفهٔ خطاطين ، مقدمة ابن الأمين ٦٧ .

(٤) لسان العرب ١/٣٣ ط . صادر .

الخطاطون الذين تشابه أسماؤهم اسم ابن البواب وأسماء ابن البوّاب

ص (١٠)

أدرج الدكتور سهيل أنور - في هذا الفصل - ثلاثة عشر آسمًا لآبن البوّاب على سبيل الآحتمال، وأشار إلى أنّه ليس من المستبعد أن تختلط بهذه الأسماء أسماء ليست له ...

ومن هذه الأسماء الثلاثة عشر ما هو آسمه مقرونًا بآسم أبيه (عليّ بن هلال)، وقد كرّره لسبب لم أتبيّنه؛ أو كتب فيه آسم أبيه (هلال) مجرّدًا من الألف (هلل) قياسًا على المألوف عند القدماء من تجريدهم مثل الرحمان وإسحاق وهارون وإبراهيم من الألف، فيكتبونها الرحمن وإسحق وهرون وإسمعيل وإبرهيم. ومنها ما هو كنيته مقرونة بآسمه وحده (أبو الحسن عليّ)، أو لقبه وحده (آبن البوّاب) مكتوبًا على طريقة اللغة التركيّة (ابن بوّاب) كما أثبتناه بشكله، أو محرّفًا مثل (آبن سطري) وأصله (آبن السِّتْرِيّ)، وقد كتبت في تحقيق هذا (ص ٨) ما يغني عن إعادته. ومنها ما جرى فيه على التقديم والتأخير بين لقبه وآسمه مثل (آبن بوّاب عليّ بن هلال)، أو آقتصر فيه على نسبته إلى مدينته بغداد مجرّدة من (ال) أيضًا مثل (عليّ بن هلال بغدادي). ومنها ما لم يَثْبُتْ له من آسم أو لقب مثل (علاء الدين) و (محمد علاء الدين)، وقد حقّقت ذلك في (ص ٧).

وآختلط بين هذه الأسماء آسم غريب مركب مع آسمه وصفته ومكتوب في سطر واحد بالحروف العربيّة والحروف اللاتينيّة أيضًا، وأعني به (حسن بهتر ومؤمن بن بوّاب عليّ

ابن هلال البغداديّ) . ولعلّي لا أبعد إذا ذهبت إلى أنّ (حسن بهتر ومؤمن) هو تحريف (الحسن بن بهزاد المرزبانيّ) .

وهو أبو سعيد الحسن بن عبد الله المَرْزُبانيّ السيرافيّ ، النحويّ المشهور ، شارح كتاب سيبويه ، المتوفّى سنة ٣٦٨ هـ [١] . وكان (بهزاد) أبوه مجوسيّاً من أهل سِيراف — فرضة فارسيّة على ساحل البحر مما يلي كرمان — . فلّما أسلم ، سمّاه ابنه هذا (عبدَ الله) . وكان الحسن موصوفاً بجودة الخطّ ، وقد أخذه — على ما ورد في (تحفهٔ خطّاطين) — عن الوزير ابن مقلة [٢] .

وقد كرّر المؤلّف هذه الصيغة بطولها وتحريفها في مبحث (شجرات الخطّ الى ياقوت المستعصميّ [٣]) مع زيادة (ابن) بين (حسن) و (بهتر) .

وإذ كان (الحسن بن بهزاد المَرْزُبانيّ) تلميذاً للوزير ابن مقلة ، فهو إذنْ يليه في سلسلة شجرة الخطّ ، ثمَّ يلي هذا (ابن البوّاب عليّ بن هلال البغداديّ) ، فيجب الفصل بينهما . غير أنّ المؤلّف — هنا وهناك — وصل بينهما وصلاً ، ظانّاً أنّ هذا الاسم الطويل المسطور بخطّه في سطر واحد — حسن بن بهتر ومؤمن بن البوّاب عليّ بن هلال البغداديّ — على حدّ صياغته ، هو لرجل واحد ، وليس الأمر كما خال .

ولعلّي — بهذا التوضيح والتحقيق — قد أعنت الدكتور مؤلّف الرسالة على إزالة الغموض عن هذه الأسماء ، التي دوّنها ، وأوجب على نفسه أن يعود إلى بحثها — في المستقبل — بحثاً دقيقاً يزيل عنها كلّ التباس على حدّ كلامه .

(١) وفيات الأعيان ١/١٣٠ ، معجم الأدباء ٨/١٤٥ ، بغية الوعاة ٢٢١ ، وغيرها .

(٢) تحفهٔ خطاطين ١٥٨ .

(٣) الخطاط البغدادي علي بن هلال ٩ .

شكل الثلث والنسخ قبل ابن البوّاب

ص (١٢)

يدور البحث في هذه الرسالة حول قطبين : ترجمة ٱبن البوّاب ، وبيان أثره وأثر الوزير ٱبن مقلة من قبله في تحسين الخط العربيّ ، ونقله من الشكل الكوفيّ الى الأقلام التي ٱستنبطت منه ، ولا سيّما الثلث والنسخ .

ومن المعلوم أنّ روايات المؤرّخين . في هذا الباب ، متعـــدّدة ، ومضطربة ٱضطراباً شديداً يصعب معه تمحيص البحث ، ووضع الحق في نصابه المستقرّ الثابت ، إلّا اذا بُذل في ذلك أعنف الجهد .

ومن هنا تسرّب شيء من الاضطراب إلى هذه الرسالة ، فتعثّرت في إيراد هذه الروايات المتضاربة هنا وهناك ، دون أن تستقرّ على رأي ثابت في إحداث أشكال الخطّ الجديدة من ثلث ونسخ ، وفيمن أحدث ذلك من الكتّاب .

فهي تجعل الناقل الأوّل لهذا الخط العربيّ ــ من الشكل الكوفيّ إلى ما يقارب الشكل المستعمل الآن ــ الوزيرَ ٱبن مقلة تارةً ، والحسن البصريّ تارةً ، وقد تذهب إلى أن أوّل من كتب الثلث والنسخ المعروفين الآن هو ٱبن مقلة ، ثم ترجع فترى أنّ ٱبن البوّاب هو الذي ٱستطاع أن يقلب الخطّ الكوفيّ من بعده ، وأن يستنبط منه أسلوب الثلث والنسخ ، ثم لا تلبث في مكان آخر أن تنفلت بحركة سريعة حادّة إلى الحسن البصريّ — الذي هو أبعد ما يكون عند ثقات مؤرّخي الخطّ العربيّ إغفالاً لاسمه وذكره ــ فاذا هو الناقل الأوّل

للخطّ الحالي ، ثمّ تعود كرّةً أخرى الى الوزير ابن مقلة وتغفل الحسن البصريّ إغفالاً تامّاً كما يفعل المؤرخون الأثبات .

وأنا ذاكر هنا جملة القول في هذا الباب بحسب التسلسل التأريخيّ ، مبتدئاً فيه بأوّل الإسلام . وواضح أنّ الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام ، كان ـ كما قال العلّامة ابن خلدون ـ غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسّط ، لمكان العرب من البداوة ، وبعدهم عن الصناعات .

ثمّ لمّا فتحوا الأمصار ، وملكوا الممالك ، ونزلوا البصرة والكوفة ، واحتاجت الدولة إلى الكتابة ، استعملوا الخطّ ، وطلبوا صناعته وتعلّمه ، وتداولوه ، فترقّت الإجادة فيه ، واستحكم ، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبةً من الإتقان ، إلّا أنّها كانت دون الغاية .

ثمّ انتشروا في الأقطار والممالك ، وافتتحوا إفريقية والأندلس ، واختطّ بنو العبّاس بغدادَ ، فترقّت الخطوط فيها إلى الغاية لمّا استبحرت في العمران ، وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربيّة .

ومن بغداد انتشرت شرقاً وغرباً أصول « الخطّ البديع المنسوب » الذي خالفت أوضاعُهُ ببغداد أوضاعَهُ بالكوفة ، في الميل إلى إجادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء .

واستحكمت هذه المخالفة في الأعصار ، إلى أن رفع رايتها ببغداد أبو عليّ بن مُقْلَةَ الوزير ، ثم تلاه في ذلك عليّ بن هلال الكاتب الشهير بابن البوّاب ، ووقف سند تعليمها عليه في المئة الثالثة وما بعدها ، وبعدت رسوم الخطّ البغداديّ وأوضاعه عن الكوفة ، حتّى انتهت إلى المباينة [1] .

***

كان الخطّ العربيّ المستعمل لأوّل الإسلام هو (الخطّ الأنباريّ) أو (الحيريّ) الذي كان يقال له (الجَزْم) أيضاً ؛ لأنّه جُزم ـ أي قُطع ـ من (المسند) أقدم خطّ في بلاد

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ٣٤٤/٢ ، طبعة كاترمير .

العرب ، فكان مستعملاً في الأنبار والحيرة ، و (الخطّ المسند) كان مستعملاً في بلاد العرب . وسمّي (الخطّ الأنباريّ) هذا بـ (الخطّ الكوفيّ) بعد تمصير الكوفة بأمر عمر بن الخطّاب — رضي الله عنه — : نسبةً الى الكوفة على سبيل التغليب .

وهو عدّة أقلام ، مرجعها الى أصلين : التقوير ، والبسط .

و (المقوّر) هو الذي تكون عراقاته وما في معناها منخسفة منحطّة الى أسفل ، كالثلث والرّقاع ونحوهما . وقد كثر استعماله في الرّقاع والمراسلات والكتابات المعتادة كالتي كان يكتبها كتّاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ .

و (المبسوط) ما لا انخساف و انحطاطَ فيه ، بل كانت عراقاته مبسوطةً ، كالنون الطويلة . وكان لا يستعمل عادة إلا في كتابة المصاحف الكبيرة ، وما يقصد به الزينة والزخرفة [١].

وذكر صاحب (إعانة المنشيء) أنّ أوّل ما نُقل الخطّ العربيّ من الكوفيّ ، مقوّره ومبسوطه ، الى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن ، في أواخر خلافة بني أميّة وأوائل خلافة بني العبّاس [٢] .

وعقب أبو العبّاس أحمد القلقشنديّ في (صبح الأعشى) على هذا ، فقال : على أنّ الكثير من كتّاب زماننا يزعمون أنّ الوزير أبا عليّ بن مقلة — رحمه الله تعالى — هو أوّل من ابتدع ذلك ، وهو غلط ، فإنّا نجد من الكتب بخطّ الأوّلين فيما قبل الثتين ما ليس على صورة الكوفيّ ، بل يتغيّر عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرّة ، وإن كان هو إلى الكوفيّ أميلَ ، لقُربه من نقله عنه [٣] .

وقرّر أبو حيّان التوحيديّ من أئمّة التأليف في القرن الرابع الهجريّ في رسالته في

---

(١) صبح الأعشى ٣/١٥ ، وغيره . (٢) صبح الأعشى ٣/١٥ .
(٣) صبح الأعشى ٣/١٥ .

(علم الكتابة) ما كان من عناية القدماء بتحسين قواعد الخط الكوفيّ بأنواعه ، وهي – فيما ذكر – اثنتا عشرة قاعدة : الإسماعيليّ ، والمدنيّ ، والمكّيّ ، والأندلسيّ ، والشاميّ . والعراقيّ . والعبّاسيّ ، والبغداديّ ، والمشعّب ، والريحانيّ ، والمحرّر ، والمصريّ ، وقال : فهذه الخطوط العربيّة التي كان منها ما هو مستعمل قديماً ، ومنها قريبة الحدوث . وأمّا هذه الطرائق المستنبطة ، فهي مرويّة عن الصحابة [1] حتّى اتصلت بابن مقلة [2] .

ويظهر أنّ عهد ارتقاء الخطّ العربيّ بدأ في العصر الأمويّ . ومن أوائل الكتّاب الماهرين فيه خالد بن أبي الهيّاج أوّل من كتب المصاحف في الصدر الأوّل ، ويوصف بحسن الخطّ ، وقد رأى محمّد بن اسحاق النديم مصحفاً بخطّه ، وقال : كان سعد نصبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك ، وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد

---

(١) قابل هذا بقول ابن خلدون في المقدمة : « .. فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ الى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ، لمكان العرب من البداوة ، وبعدهم عن الصنائع . وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف ، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ، الى أن قال : ولا تلتفتن في ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ... وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كمال ، فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا اليهم الكمال باجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه ، وذلك ليس بصحيح . واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم ، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، والكمال في الصنائع اضافي بكمال مطلق ، اذ لايعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال ، وانما يعود على أسباب المعاش ، وبحسب العمران والتعاون عليه ، لأجل دلالته على ما في النفوس » .

(٢) رسالة (علم الكتابة) لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي ، نشرها المستشرق الأمريكي Franz Rosenthal في مجلة Ars Islamica التي تصدرها جامعة مشيغن University of Michigan ، م ١٣ – ١٤ ، ص ٢١ – ٢٧ ، سنة (١٩٤٨ م) . ثم نشرها الدكتور ابراهيم الكيلاني مع رسالة السقيفة ورسالة الحياة ، بدمشق ، ١٩٥١ .

وقد وردت بعد هذا النص جملة مضطربة ، أقحم فيها اسم ياقوت ، وقد عرف تاريخنا تسعة خطاطين ماهرين باسم ياقوت ، وكلهم كانوا بعد زمن التوحيدي ،وأقربهم اليه بعيد عنه كل البعد . فاذا صحت نسبة الرسالة اليه ، حملنا ذلك على أنه من إضافة الناسخ .

وهذه الجملة الموصولة بما تقدم ، هي : « وياقوت وغيرهم ، وهم تفننوا فيها بحسب اجتهادهم » .

النبيّ — صلّى الله عليـــه وسلّم — بالذهب ، من قوله تعالى : (والشمس وضحاها) الى آخر القرآن [١] .

واشتهر في هذا العصر أيضاً رجل يقال له (قطبة المحرّر) ، ذكر أنّه هو الذي بدأ في تحويل الخطّ العربيّ من الشكل الكوفيّ ، واستخرج الأقلام بعضها من بعض ؛ وأنّه كان أكتب الناس على الأرض بالعربيّة [٢] .

وزاد تطوّره في أوائل الدولة العبّاسيّة على يد رجل من أهل الشام نبغ في خلافـــة السفّاح أول خلفاء بني العبّاس ، يقال له (الضحّاك بن عجلان الكاتب) ، فزاد على (قطبة) ، فكان بعده أكتب الخلق .

ثمّ كان بعده (اسحاق بن حمّاد الكاتب) في أيّام خلافة المنصور والمهديّ ، فزاد على (الضحّاك) .

وكان هذان الكاتبان يخطّان (الجليلَ) ، وكأنّه يراد به الطّومار أو قريب منه [٣] .

ثمّ ازدهر عصر المأمون بتلامذة اسحاق بن حمّاد ، الذين كتبوا « الخطوط الأصليّة الموزونة » التي لا يقوى عليها أحد الّا بالتعليم الشديد ، وعدّتها اثنا عشر قلماً يخرج منها اثنا عشر قلماً [٤] ...

أذكر منهم (أحمدَ بنَ أبي خالد) كاتبَ المأمون ، قال أبو حيّان التوحيديّ : سمعت ابن المشرّف البغداديّ يقول : رأيت خطّ أحمد بن أبي خالد كاتب المأمون ، وكان ملك الروم يخرجه — في يوم عيده — في جملة زينته ، ويعرضه على العيون . قال : وكانت ألفاته ولاماته على غاية الانتصاب والتقوّم ، ولم أجد في جميع حروف خطّه عيباً الّا في الواوات

---

(١) الفهرست ١٠ . (٢) الفهرست ١٠ .

(٣) الفهرست ١٠ ، وصبح الأعشى ٣/١٦ .

(٤) الفهرست ١١ .

الموصولة والياءات المفصولة [1] .

و (ابراهيمَ الشجريّ [2]) ، وكان أخطّ أهل دهره . أخذ عن إسحاق (الجليلَ) ، واخترع منه قلماً أخفّ منه سمّاه (قلم الثلثين) ، ثمّ اخترع من قلم الثلثين قلماً سمّاه (الثلث) [3] .

وأخاه (يوسفَ الشجريّ) . وقد أخذ القلم الجليل عن اسحاق أيضاً ، واخترع منه قلماً أدقّ منه ، وكتبه كتابة حسنة ، فأعجب به ذو الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون ، وأمر أن تحرّر الكتب السلطانيّة بـه ، ولا تكتب بغيره ، وسمّاه (القلم الرئاسيّ) [4] . قال بعض المتأخرين : وأظنّه (قلم التوقيعات) .

وجاء بعد هؤلاء كاتب متفنّن كثير الاستنباط لأنواع الخطوط ، يقال له (الأحول المحرّر) [5] من صنائع البرامكة . أخذ عن ابراهيم الشجريّ الثلثين والثلث ، واستنبط منهما قلماً سمّاه (قلم النصف) ، وقلماً أخفّ من الثلث سمّاه (خفيف الثلث) ، وقلماً متّصل الحروف ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره سمّاه (المسلسل) ، وقلماً سمّاه (غُبار الحلْيَة) [6] ، وقلماً سمّاه (خطّ المؤامرات) ، وقلماً سمّاه (خطّ القصص) ، وقلماً سمّاه (الحوائجيّ) ، إلّا أن خطّه مع حسنه وبهجته كان غير محكم ولا متقن [7] .

وكان ينافسه في عصره (وجه النعجة) محمّد بن معدان المعروف بأبي ذرجان وكان مقدّماً في (الجليل) ، وأحمد بن محمد بن حفص المعروف بـ (زاقف) وكان أجل الكتّاب خطّاً في (الثلث) ، وانتهت رئاسة الخطّ بمصر الى (طبطب [8] المحرّر) جودة وإحكاماً [9] .

---

(١) رسالة (علم الكتابة) لأبي حيان ، المذكورة في حواشي (ص ٤٣) .
(٢) سأتحدث عنه في موضع آخر .
(٣) صبح الأعشى ٣/١٦ ، ومن هذا النص يتبين أن ابن مقلة كان مسبوقاً باختراع قلم الثلث .
(٤) صبح الأعشى ٣/١٦ ، الفهرست ١٣ .
(٥) سأتحدث عنه في موضع آخر .
(٦) هكذا وردت في (صبح الأعشى) ، ووردت في كتب أخرى « الحلبة » ، بالباء الموحدة .
(٧) صبح الأعشى ٣/١٦ .
(٨) حرف في بعض الكتب الحديثة الى « قطبة » .
(٩) صبح الأعشى ٣/١٦ .

ثم انتهت جودة الخطّ وتحريره على رأس الثلاث مئة الى (الوزير أبي عليّ محمّد بن مُقلة) المتوفّى سنة ٣٢٨ هـ ، وأخيه أبي عبدالله الحسن بن مقلة المتوفّى سنة ٣٣٨ هـ . وقد أخذا عن الأحول [١] ، وولّدا – كما قال صاحب (اعانة المنشيء) – طريقة اخترعاها ، وكتب في زمانهما جماعة فلم يقاربوهما . وتفرّد أبو عبد الله بـ (النَّسْخ) ، والوزير أبو عليّ بـ (الدرج) ، وكان الكمال في ذلك للوزير ، وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها ، وعنه انتشر الخطّ في مشارق الأرض ومغاربها [٢] .

قال ياقوت : كان الوزير أوحد الدنيا في كَتْبه (قَلَمَ الرِّقاع) و (التوقيعات) ، لا ينازعه في ذلك منازع ، ولا يسمو الى مساماته ذو فضل بارع .

وكان أبو عبد الله أكتب من أخيه في (قلم الدفتر) و (النسخ) ، مسلَّماً له في فضيلته ، غير مفاضل في كتبته [٣] .

لكن روى ابن خلكان خلافاً قديماً في أيّهما صاحب الخطّ المنسوب ، كأنّه يراد بذلك نفي صفة تجويد الخطّ عن واحد منهما ، فذكر — في أثناء ترجمة ابن البوّاب [٤] — أنّ أوّل من نقل هذه الطريقة من خطّ الكوفيّين الى هذه الصورة ، وكان له بذلك فضيلة السبق ، وخطُّهُ أيضاً في نهاية الحسن ، هو الوزير أبو عليّ بن مُقلة .

وبعد أن أشار الى ما أدخله ابن البوّاب على طريقته من التهذيب والتنقيح والطلاوة والبهجة ، روى — على سبيل التضعيف — قولَ من زعم أنّ صاحب الخطّ ليس أبا عليّ ، إنّما هو أخوه أبو عبد الله الحسن .

ثمّ عاد الى المسألة في ترجمة الوزير أبي عليّ ، وأشار الى هذا الخلاف الذي حكاه في ترجمة ابن البوّاب ، بصيغة التمريض ، فأكدّه ووثّقه ، وقال : « وكان أخوه أبو عبدالله ..

---

(١) أنظر الفصل الآتي .
(٢) صبح الأعشى ٣/١٧ ، وضوء الصبح المسفر ١/١٨٣ .
(٣) معجم الأدباء ١٠/٢٩ .
(٤) وفيات الأعيان ١/٣٤٥ .

كاتبًا ، أديبًا بارعًا ، والصحيح أنّه صاحب الخطّ المليح »[1] .

وهذا غريب من ٱبن خلكان ، ولست أشكّ في أنّ الصحيح إنّما هو ما ورد من التفصيل في كلام صاحب (إعانة المنشىء) وياقوت وغيرهما أيضًا : من براعة ٱبنَيْ مقلة جميعًا في الخطّ ، وٱختصاص كلّ منهما ببعض أنواعه .

وليس من السهولة أن تنفى عن الوزير أبي عليّ صفة تجويد الخطّ وإبداعه . وقد بلغت شهرته فيه مبلغ التواتر ، وتقبّله الخطّاطون في عصره وبعد عصره . ومع أنّ ٱبن البوّاب قد أكمل قواعد الخطّ من بعده ، وتمّمها ، وٱخترع غالب الأقلام التي أسسها الوزير ، ونافست طريقتُهُ الجديدة طريقتَهُ ، وٱنحاز إليها الناس . وتقبّلوها . فقد ثبت له مذهب الوزير وأسلوبه ، ولم تخل العصور التي تلت عصره من أتباع له يحاكون خطّه ويترسّمونه ، وأذكر من هؤلاء على سبيل التمثيل : الأديب أحمد بن الحسين الغضاريّ ، والحسن بن عليّ البغداديّ المعروف بٱبن ناهوج المتوفّى سنة ٥٨٨ هـ ، وأبا الحسن عليّ بن يوسف القفطيّ المتوفّى سنة ٦٢٤ هـ ، وٱبن كمّونة اليهوديّ الفيلسوف وكان يزوّر على خطّ ٱبن مقلة ، وغيرهم .

ثمّ أخذ عن ٱبن مقلة : (محمّد بن السمسانيّ) ، و (محمّد بن أسد) ، وقد قدّمت ترجمتيهما في هذه التعليقات[2] .

وعنهما أخذ الأستاذ (أبو الحسن عليّ بن هلال ، المعروف بٱبن البوّاب) ، وقد تقدّم الشيء الكثير من سيرته وما قيل فيه من الثناء . وهو الذي أكمل قواعد الخطّ ، وتمّمها ، وٱخترع غالب الأقلام التي أسسها ٱبن مقلة[3] كما قدّمت .

ولقد أحسن صاحب رسالة (الخطّ المنسوب)[4] كلّ الإحسان حين عرض لتبيان

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٦٢ .
(٢) أنظر (ص ١٩) . (٣) صبح الأعشى ٣/١٧ .
(٤) رساله صغيرة نشرها الدكتور خليل محمود عساكر في مجلة معهد المخطوطات العربية ١/١/١٢٣—١٢٧ . لم يذكر فيها اسم مؤلفها ، ويرى الناشر أنه ربما كان أبا حيان التوحيدي .

ما تميّز به إتقانه هذه الصناعة ، وما تمّمه من صنيع ابنَي مقلة ، فذكر أنّه « وجد الناس قد اجتهدوا قبله في إصلاح الكوفيّ ، وأقبلوا على ترطيب الكتابة للسرّ الخفيّ ، وهو حبّ النفس للرطوبة ؛ لأنّها مادّة الحياة ، وهي لدونة الخطّ ، ورنّيه [1] ، وألا يرى من خارج زواياه . وكانت أسباب إتقان هذه الصناعة قد كمّلها الله له بأسرها ، وأراده لهذه الرتبة فشدّ لها أسره ، واطّلعه على سرّها ، فرأى ابنَي مقلة قد أتقنا قلمي (التوقيعات) و (النسخ) ، لكن لم يرسخا ـ رحمهما الله ـ في إتقانهما ذلك الرسخ ، فكمّل معناها وتمّمه . ووجد شيخه ابن أسد يكتب الشعر بنسخ قريب من (المحقّق) فأحكمه ، وحرّر (قلم الذهب) وأتقنه ، ووشى برد الحواشـــي وزيّنه . ثم برع في (الثلث) و (خفيفه) ، وأبدع في (الرّقاع) و (الريحان) وتلطيفه ، وميّز قلم المتن والمصاحف ، وكتب بـ (الكوفيّ) فأنسى القرن السالف .

ثمّ قال الكاتب ـ يخاطب سائله ـ : وأمّا ما رأيت من مؤوجه وتسبيعه ، وتلعّبه بغير ما ذكرت وتنويعه ، فغاية لم يدركها أحد بعده ، ومن جدّ في نقل جيّد خطّه عرف حدّه .

نعم ، كان الكاتب بعده يجيد القلم والقلمين ، ومن قال إنّه بلغ غاية الكلّ فقد بلغ المَيْن . فانّه الواضع الذي حرّر كلّاً وشبهه ، وعرف سرّه وكنهه ، فغاية المتشبّه أن يقارب ، إلّا أن يدعي مكابر محارب » .

ولقد زاحمت طريقة ابن البوّاب طريقة ابنَي مقلة ، فكثر أتباعها ومترسّموها ، من أمثال : أبي عليّ الجوينيّ ، وعليّ بن حمزة البغداديّ ، والوزير ابن صدقة ، وعمر بن الحسين غلام ابن خِرْنقا ، وبني العديم الحلبيّين ولا سيّما الحسن بن عليّ وعبد القاهر بن عليّ ، وفاطمة بنت الأقرع ، وأبي منصور الفضل بن عمر ، وأبي طالب الكرخيّ ، وابن البَرَفْطيّ ، ومحمّد بن سعد الرازي ، وبيمان الأصفهانيّ ، وابن التبنيّ ، وياقوت بن عبد الله المعروف

---

(١) الأصل : « وزيه » .

بالملكيّ ، ويا قوت بن عبد الله الروميّ نزيل الموصل ، وياقوت المستعصميّ ، وغيرهم .

* * *

وبعد ، فهذا عرض موجز لتطوّر الخطّ العربيّ ، وتكامله ، وبيان أثر أعظم الكتّاب فيه ، إلى أن انتهى إلى ابن البوّاب .

وقد بقي علينا أن نعرض لألقاب الأقلام من قديم وحادث ، ولكنّ ذلك يتّسع القول فيه ، وموضوعُ هذا الفصلِ الثلثُ والنسخ ، فلنقصر الكلمة على أسباب تسميتهما .

فأمّا (الثلث) ، فقد اختلف الكتّاب في تسميته وتسمية ما في معناه من الأقلام المنسوبة إلى الكسور كالثلثين والنصف ، على مذهبين :

المذهب الأوّل — ما نقل عن الوزير أبي عليّ بن مقلة أنّ الأصل في ذلك أنّ للخطّ الكوفيّ أصلين من أربع عشرة طريقة ، هُما لها كالحاشيتين ، وهما : ١) قلم الطُّومار ، وهو قلم مبسوط كلّه ليس فيه شيء مستدير ، وكثيراً ما كُتبت به مصاحفُ المدينةِ القديمةُ . ٢) قلم غُبار الحلية ، وهو قلم مستدير كلُّه ليس فيه شيء مستقيم . فالأقلام كلّها ، تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسباً مختلفة ، فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمّي قلم الثلث ، وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثان سمّي قلم الثلثين .

المذهب الثاني — ما ذهب إليه بعض الكتّاب أنّ هذه الأقلام منسوبة من نسبة قلم الطومار في المِساحة ، وذلك أنّ قلم الطُّومار الذي هو أجلّ الأقلام مِساحةُ عَرْضِهِ أربع وعشرون شعرة من شعر البرذون ، وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه : وهو ثمان شَعَرات ، وقلم النصف بمقدار نصفه : وهو اثنتا عَشْرَةَ شعرةً ، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه : وهو ثمانَ عشرةَ شعرة [1] .

وأما (النَّسخ) ، فقد سمّي به لأنّ الكتّاب كانوا ينسخون به المصحف ، ويكتبون

---

(١) صبح الأعشى ٣/٥٢ .

به المؤلّفات . وهو مشتقٌّ من (الجليل) ، أو (الطُّومار) ، أو منهما معاً . وكان ابن مقلة يسمّيه (البديع) [1] .

ومن يوازن بين النماذج الواصلة الينا من النسخ في شكله الكوفيّ المقوّر لأوّل الإسلام ، والنسخ في الصورة التي نقله اليها الكتّاب المحسّنون ، ولا سيّما ابن مقلة وابن البوّاب ، يدرك الفرق العظيم بينهما ، والمدى الذي بلغه الخطّ العربيّ — في جميع أنواعه وصوره المخترعة والمبتكرة — من الكمال والجمال .

***

هذا ، وقد أشار المؤلّف — في هذا الفصل — إلى أنّه لم يعثر حتّى الآن على خطّ لابن مقلة بإمضائه ، أو مجرّد منه ، أو منسوب إليه .

وقد رُوي لي أنّ في بعض المُدُن العراقية نسخة من مُصْحَف أو كتاب دُوّن عليه أنّه بخطّ ابن مقلة ، ولكنّ العارفين يشكّون في صحّته .

وقرأت في بعض أجزاء مجلّة (ثقافة الهند) نبأ عن وجود أثارةٍ من خطّه في رامپور إن لم تخنّي الذاكرة ، ولم يتيسّر لي ساعة كتابة هذا التعليق الظفر به ، لأنقله ، وأعيّن موضعه .

ورأيت بأَخَرَةٍ في (مجلة معهد المخطوطات العربيّة) التي تصدرها جامعة الدول العربيّة بحثاً في (المخطوطات العربيّة في أفغانستان) للأب دبوركوي P. S. L. de Beaurecueil تحدث فيه عن مخطوطات أربع مكتبات : مكتبة الملك ، ومكتبة رئاسة المطبوعات ، ومكتبة وزارة المعارف الأفغانية ، ومكتبة متحف هراة ، فذكر في جملة نوادر هذه المكتبة الأخيرة مصحفاً كتب بيد محمّد بن مقلة الوزير ، وقال : « خطّه كوفيّ » [2] .

---

(١) تاريخ الخط العربي وآدابه ٦٦ ، ٩٤ ، ١٠١ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية م ٢ ج ١ ص ٣٢ .

هكذا أورد هذا النبأ بإيجاز شديد ، وحقّ مثله أن يحتفى به ويتبسّط فيه ، ولست عارفاً تثبّت الباحث الفاضل فيما ينقله ويرويه .

غير أنني أعلم أنّ الوزير ابن مقلة قد كتب المصحف مرّتين فقط كما سيأتي في ترجمته ، وأنّ أحد هذين المصحفين قد ظفر به ابن البوّاب في ثلاثين جزءاً مبعثرة في خزانة كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز ، فلم يزل يتتبّعه فيها فيظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب الى أن اجتمع له تسعة وعشرون جزءاً ، وبقي جزء واحد استغرق تفتيش الخزانة عليه مدّة طويلة ، فلم يظفر به ، فعلم أنّ المصحف ناقص . وقصّ نبأه على بهاء الدولة ، فطلب منه أن يتمّمه له ، فأجابه الى ما أراد ، ولكن على شريطة أنّه اذا أبصر الجزء الناقص منها ، ولا يعرفه ، أن يخلع عليه خلعة ومئة دينار . فما زال يتخيّر له من خزانته من أنواع الكاغد السمرقنديّ والصينيّ والعتيق ما يشابه كاغد المصحف ، حتّى ظفر بما يوافقه ، وكتب الجزء ، وذهّبه وعتّق ذهبه ، وقلع جلداً من جزء من الأجزاء فجلّده به ، وجلّد الذي قلع منه الجلد وعتّقه . ومضى على ذلك نحو السنة ، فأحضر له المصحف كاملاً ، فلم يزل بهاء الدولة يقلّبه جزءاً جزءاً وهو لا يقف على الجزء الذي بخطّ ابن البوّاب ، وأراده على أن يدلّه على الجزء الذي كتبه بخطّه ، فأبى عليه ، وقال له : لا تَعْرِفْه ، فيصغُرَ في عينك . هذا مصحف كامل بخطّ أبي عليّ بن مقلة ، وتكتم سرّنا (١) .

وقد سقت هذا الخبر هاهنا ، وذكرت من قبل ما كان من قدرة ابن كمّونة اليهوديّ على تزوير خطّ الوزير أبي عليّ بن مقلة ، لتكون منهما منبهةٌ على مواطن التدليس والتزوير لمن يتسقّطون خطّ ابن مقلة ويحرصون على الظفر به .

---

(١) معجم الأدباء ١٥/١٢٢ .

ترجمة ابن مقلة الذي يعد أستاذ ابن البواب

ص (١٤)

١) قال المؤلف في التعريف بابن مقلة : « هو بغداديّ ، يكنى بأبي عليّ ، الصدر محمّد بن عليّ بن حسن ، بن مقلة الوزير » .

وذكره في الصفحة السابعة ، فأسقط (عليّاً) ، وقال : « محمّد بن الحسن بن مقلة » . وقد فاتني التنبيه عليه في موضعه من هذه التعليقات [1] . و (الحسن) : ورد في كتب التراجم محلّى بأل حيناً ، ومجرّداً منها حيناً آخر . والأوّل هو الأكثر كما في فهرست ابن النديم ١٤ ، ومعجم الأدباء ٩/٢٨ ، والنجوم الزاهرة ٣/٢٦٨ (وقد جاء بعده في هذا الكتاب اسم عبد الله) ، وغيرها . والثاني قليل ، وقد وجدته في شذرات الذهب ٢/٣١٠ .

وروي بدله (الحسين) في : وَفَيات الأعيان ٢/٦٢ ، وثمار القلوب ١٦٧ ، والفلاكة والمفلوكون ١٢٨ .

---

(١) وهذا الخطأ يسير اذا قيس الى ذهول الزبيدي شارح القاموس المحيط المشهور ، إذ قال ـ في تاج العروس (مادة /م ق ل) ٨/١١٨ ـ وهو يعرف بالوزير أبي علي محمد بن مقلة : « وأبو الحسن علي هلال ، الوزير الكاتب ، يعرف بابن مقلة ، مشهور ... وترجمته مستوفاة في تاريخ ابن خلكان وغيره » !

وأبو الحسن علي (بن) هلال ، إنما هو ابن البواب ، لا ابن مقلة .

وأشد نكارة من هذا ، والشيء بالشيء يذكر ، ما وقع من التخليط العجيب والتحريف الغريب في تعريف المنجد (المعجم اللغوي العربي ، ٥٨٦ ، الطبعة ١٥ ، سنة ١٩٥٦) بالأستاذ الشيخ قاسم القيسي الفقيه البغدادي المعمر ، المتوفى في أيلول ١٩٥٥ م ، اذ سماه « كاظماً » ، وقال : « تعلم على عبد الوهاب نياب المحسن عطائي غلام بدل الهندي » . وهو يريد : « تعلم على عبد الوهاب النائب ، وعبد المحسن الطائي ، وغلام رسول الهندي » ، فتأمل !!

و (مقلة) : لقب أبيه عليّ ، نصّ عليه محمّد بن اسحاق النديم في الفهرست [١] ، ولم يبيّن سبب تلقيبه به ، وبيّنه ياقوت الحمويّ في معجم الأدباء ، في ترجمة أبي عبد الله الحسن أخي الوزير ، فقال : « ومقلة : اسم أمّ لهم كان أبوها يرقّصها ، فيقول : يا مُقلَةَ أبيها ، فغلب عليها » [٢] . ثمّ ذكر ياقوت من أمر عليّ الملقب بمقلة أنّه مات في ذي الحجّة سنة تسع وثلاث مئة ، وله يومَ مات سبع وستّون سنة وأشهر ، وصلّى عليه ابنه أبو عليّ .

* * *

٢) أغفل المؤلّف تاريخ ولادة الوزير ابن مقلة ، وهو يوم الخميس لتسع بَقِينَ من شوّال سنة اثنتين وسبعين ومئتين ببغداد كما في (وَفَيات الأعيان) [٣] .

* * *

٣) قال : « رغب عن عمل أبيه ، وانصرف الى الدرس » ، فأغفل تسمية عمل أبيه . وقد ادّعى مؤلّف كتاب (تحفهِ خطّاطين) أنه كان زيّاتاً ، يبيع الزيت [٤] ؛ ولم أجد قطُّ ذكراً لذلك في كتب التراجم التي يعتدّ بها ، بل الذي وجدته فيها أنّه كان كاتباً مليح الخطّ [٥] ، وعلى خطّه كتب ولداه : أبو عليّ ، وأبو عبد الله [٦] . وذكر محمّد بن إسحاق النديم أنّه رأى مصحفاً بخطّه [٧] . فلا جَرَمَ أنّه كان من طبقة المعنيّين بالعلم والكتابة ، لا من الباعة في الأسواق ، فورّث أبناءه فضله وحسن خطّه . وقد تحقّق بها جماعة منهم ومن ذراريهم [٨] ، ولكنّ الكمال كان لابنه أبي عليّ الوزير ، فبلغ مرتبةً عاليةً في علم الإعراب ، وحفظِ اللغة ، وبلاغةِ البيان منثوره ومنظومه ، كما شهد له الصُّوليُّ بذلك وبفضائل أخرى أيضاً تميّز بها على أقرانه من أهل عصره ، فقال : « ما رأيت وزيراً — منذ

---

(١) الفهرست ١٤ .
(٢) معجم الأدباء ٩/٢٨ .
(٣) ٢/٦٢ .
(٤) تحفهٔ خطاطين ٤٢٨ .
(٥) معجم الأدباء ٩/٣٠ .
(٦) الفهرست ١٤ .
(٧) الفهرست ١٤ .
(٨) معجم الأدباء ٩/٣٠ . .

تُوُفِّيَ القاسم بن عبيد الله — أحسنَ حركةً ، ولا أظرفَ إشارةً ، ولا أملحَ خطّاً ، ولا أكثرَ حفظاً ، ولا أسلطَ قلماً ، ولا أقصد بلاغةً ، ولا آخذَ بقلوب الخلفاء ، من محمّد ابن عليّ (١) …

* * *

٤) أغفل المؤلّف الكلام على نشأته الأولى . وقد ذكر ابن خلكان أنّه كان — في أوّل أمره — يتولّى بعض أعمال فارس ، ويجبي خراجها ، وتنقّلت به الحال ، الى أن استوزره المقتدر بالله (٢) . وقال ابن الطقطقى : كان — في ابتداء أمره — يخدم في بعض الدواوين في كل شهر بستّة دنانير ، ثمّ إنّه تعلّق بأبي الحسن بن الفرات الوزير واختصّ به ، وكان ابن الفرات كالبحر سماحاً وجوداً ، فرفع من قدره ، وأعلى من شأنه ، فمكث بين يديه يعرض عليه رِقاعاً في مُهمّات الناس ، وينتفع بسبب ذلك . وكان ابن الفرات يأمره بالتحصيل من هذه الجهة ، إيثاراً لنفعه ، فما زال على ذلك حتّى علت حاله ، وكثر ماله . ولمّا ولي ابن الفرات الوزارة الثانية ، تمكّن ابن مقلة في دولته ، ونبعت حاله ، وعَرُضَ جاهه . ثم إنّ الشيطان نزغ بينه وبين أبي الحسن عليّ بن الفرات ، فاستوحش كلٌّ منهما من صاحبه ، فكفر ابن مقلة إحسان ابن الفرات ، ودخل في جملة أعدائه والسُّعاة عليه ، حتّى جرت النكبة على ابن الفرات . فلمّا رجع ابن الفرات الى الوزارة ، قبض عليه ، وصادره على مئة ألف دينار ، أدّتها عنه زوجته ، وكانت ذات مال طائل (٣) .

* * *

٥) نقل من رسالة العوفيّ في الخطّ أنّ ابن مقلة أخذ الخطّ الجميل عن الأستاذ الأحول من تلاميذ ابراهيم السجزيّ ، فجوّده . وعاد الى ذكرها في موضعين آخرين فجعلهما شريكين في الأخذ عن اسحاق بن حمّاد الكاتب ، وفرعين يتفرّعان منه ، وسمّى

(١) النجوم الزاهرة ٣/٢٦٨ . (٢) وفيات الأعيان ٢/٦١ .

(٣) الفخري ٢٤٣ ، وكلامه لا يخلو من عصبية لابن الفرات لا تليق بالمؤرخ .

الأحول (عبد الله) ، وقال : إنّ الخطّ منهما آنتقل الى آبن مقلة .

وفي هذا مسائل ينبغي لنا تحقيقها :

أ) إنّ الذي عليه أهل العلم أنّ (الأحول) أخذ الخطّ عن إبراهيم السجزيّ أو الشجريّ [١] ، وابراهيم أخذه عن اسحاق بن حمّاد الكاتب الذي كان في أيام خلافة المنصور والمهديّ ، ولم يكونا شريكين في الأخذ عنه . وقد بسطت ذلك في الفصل السابق .

ب) إنّ (الأحول) المذكور لا يمكن أن يكون أستاذ آبن مقلة ، لتراخي الزمن بينهما ، فقد قدّمت أنّه كان من صنائع البرامكة ، وكان يحرّر الكتب النافذة من السلطان الى ملوك الأطراف في الطوامير كما قال آبن النديم [٢] . وشتّان بين زمن البرامكة وزمن آبن مقلة .

جـ) أغفلت بحوث الخطّ آسمه ، ولم تذكره إلّا بلقبه (الأحول) وحدَهُ . ومن المحتمل عندي أن يكون أحد آثنين :

١) أحمد الأحول المحرّر الذي ترجم له ياقوت في معجم الأدباء ، وذكر أنّه « قديم كان في أيّام الرشيد والمأمون وبعد ذلك » ، وأنّ « المأمون كان يعجبه خطّه » [٣] ، ولم يزد على ذلك شيئاً .

٢) ابراهيم البربريّ الأحول ، وهو ابراهيم بن عبد الله بن الصباح بن بشر بن سويد بن الأسود التميميّ السعديّ ، وكان أحول [٤] ، وكان محرّراً أيضاً [٥] ، ولم يوصف لنا بأكثر من هذا . وأعرب ياقوت ، في ترجمة آبنه اسحاق ، عن حيرته في آسم الأحول

---

(١) سيأتي تحقيقه . (٢) الفهرست ١٣ .

(٣) معجم الأدباء ٤/١٢٦ ، والوافي بالوفيات ٣/ القسم الأول /٣٦٣ ، وقد نقل الصفدي كلام ياقوت في معجم الأدباء نقلا حرفياً .

(٤) الفهرست ١٣ ، ومعجم الأدباء ٦/٥٩ .

(٥) معجم الأدباء ٦/٥٩ .

الذي تكلّم على رسوم الخطّ وجعله أنواعًا ، وقال : « لا أدري هل هو ابراهيم أو غيره » (١) .
على أنّه لم يلبث أن مضى في تعريفه بالألفاظ التي ترجم بها ٱبن النديم لهذا (الأحول) المجهول ٱسمه (٢) ، الذي كان من صنائع البرامكة ، وكان يحرّر الكتب النافذة من السلطان الى ملوك الأطراف بالطوامير .. الى آخر ما ذكر من حاله ومن الأقلام التي ٱستنبطها ، ولم يعزُها (أي ياقوت) الى ٱبن النديم الذي لم يُسَمّ هذا الأحول في سياقه ، بل ياقوت نفسه — كما رأينا — لم يدر هل هو ابراهيم أو غيره ؟ على أنّ ٱبن النديم قد فرّق بين الرجلين ، فذكر ذلك المجهول الآسم في موضع ، وابراهيم الأحول في موضع آخر بعده ، ولم يذكر من أمره إلّا حَوَلَهُ . فكيف جوّز ياقوت لنفسه أن يمضي في التحدّث عن ابراهيم الأحول ، وأن يعرّفه بأوصاف ليس هو بصاحبها ؟ هذا التصرّف من ياقوت على هذا النحو من التلفيق والإقحام ، زلّة كبيرة منه ، تحسب عليه ، وتستغرب منه ، وهو هو .

وإذ تعذّر أن نعرف من حال (ابراهيم الأحول) إلّا شيئًا واحدًا هو أنّه كان محرّرًا ليس غير ، فلنا أن نستبعده ، وأن نقدّم عليه أحمد الأحول ونفترض أنّه هو الأحول المجهول ، حتّى يتهيّأ انا ما يؤكّده أو ينفيه ؛ إذ كان النصّ على زمانه ، أيّام الرشيد والمأمون وبعد ذلك ، وعلى إعجاب المأمون بخطّه ، يجعله أشبه به .

د) ترجم ٱبن النديم في (الفهرست) تحت عنوان « أخبار البربريّ المحرّر » تراجم مختصرة لجماعة عرفوا بلقب (الأحول) ، ووُصفوا بأنّهم في نهاية حسن الخطّ والمعرفة بالكتابة ، وهؤلاء هم أبناء ابراهيم الأحول المذكور وحَفَدَتُهُ .

وهم : اسحاق بن ابراهيم الأحول ، وأخوه أبو الحسن الأحول ، وٱبنه أبو القاسم اسماعيل بن اسحاق بن ابراهيم الأحول ، وٱبنه أبو محمّد القاسم بن اسماعيل بن اسحاق ، ومن ولده أيضًا أبو العبّاس عبد الله بن أبي اسحاق (٣) .

---

(١) معجم الأدباء ٦/٥٩ . (٢) الفهرست ١٢ .
(٣) الفهرست ١٣ ، وفي معجم الأدباء ٦/٦١ : أبو العباس عبد الله بن اسحاق .

وقال في ترجمة اسحاق بن ابراهيم الأحول : « كان يعلّم المقتدر ، وأولاده . ويكنى بأبي الحسين . ولأبي الحسين رسالة في الخطّ والكتابة ، سمّاها (تحفة الوامق) . لم يُرَ في زمانه أحسن خطّاً منه ، ولا أعرف بالكتابة . وأخوه أبو الحسين نظيره ، ويسلك طريقته » [1] .

وترجم له ياقوت في (معجم الأدباء) ، فساق ألفاظ ابن النديم في التعريف به من غير عَزْوٍ اليه ، إلّا أنّه زاد عليه أنّه « هو أستاذ أبي عليّ بن مقلة ، وأنّ لأبي عليّ اليه رسالةً » ، قال : « ذكرتها في أخبار أبي عليّ » [2] .

فاذا تحقّق ذلك ، زال حينئذٍ الغموض الذي أحاط بهذا (الأحول) الذي أخذ عنه ابن مقلة الخطَّ ، وتعيّن اسمه ونسبته وصفته .

ص (١٥)

٦) روى عن (خلاصة الأثر) [3] خبر كتابة ابن مقلة معاهدة الصلح بين المسلمين والروم « الأناضوليين = الأناطوليين » ، وأنّها بقيت في أيديهم حتّى زمن الفتح ، وكانوا يرجعون اليها بين الفَيْنَةِ والفَيْنَة ، ليستمتعوا بالنظر اليها .

وهذا الذي كتبه ابن مقلة ، أحسبه كتبه في عهد المقتدر بالله ، وهو لم يكن « معاهدة صلح » ، ولكن « كتاب هُدْنَة » . وقد ورد النصّ على ذلك في (ثمار القلوب) لأبي منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبيّ ، قال : وكان ابن مقلة — وهو أبو عليّ محمّد بن عليّ بن الحسين ، بن مقلة — كتب « كتاب هدنة » بين المسلمين بخطّه ، فهو الى اليوم عند الروم

---

(١) الفهرست ١٣ ، ومعجم الأدباء ٦١/٦ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٦١/٦ . وقد أحال عليها أيضاً في ترجمته لأبي عبد الله الحسن بن مقلة أخي الوزير أبي علي ، ومن المؤسف حقاً أن ترجمة الوزير قد سقطت من طبعتي المعجم : طبعة مرغليوث ، وطبعة أحمد رفاعي .

(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، تأليف محمد أمين المحبي الشامي (١٠٦١ — ١١١١) ، طبع في القاهرة في ٤ مجلدات كبار ، سنة ١٢٨٤ هـ .

في كنيسة قسطنطينيّة ، يبرزونه في الأعياد ، ويعلّقونه في أخصّ بيوت العبادات ، ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه [1] .

وهذا الخبر يشبه ما أثرته قريباً [2] عن رسالة أبي حيّان التوحيديّ في (علم الكتابة) من إعجاب الروم من قبل بخطّ أحمد بن أبي خالد كاتب المأمون ، وأنّ ملكهم كان يخرجه - في يوم عيده - في جملة زينته ، ويعرضه على العيون .

وأمّا « زمن الفتح » الذي بقي « كتاب الهدنة » هذا الى يومه ، فالمراد به فتح العاهل العثمانيّ السلطان محمّد خان الثاني الملقب بالفاتح ، مدينةَ القسطنطينيّة ، في العشرين من جمادَى الأولى سنة ٨٥٧ هـ (٢٩ مايس ١٤٥٣ م) .

قال العلاّمة أبو الثناء الآلوسيّ في تفسيره (روح المعاني) ، عند تفسيره قوله تعالى : (بلدةٌ طيّبةٌ وربٌّ غفورٌ) الآية ١٥ من سورة سبأ : « ومن الاتّفاقات النادرة أنّ لفظ (بلدة طيّبة) — بحساب الجُمّل واعتبارِ هاءِ التأنيث بأربع مئة كما ذهب اليه كثير من الأدباء — وقع تاريخاً لفتح القسطنطينيّة » .

* * *

٧) ذكر المؤلّف أنّ ابن مقلة استوزر ثلاث مرّات في أيّام الخلفاء : المقتدر بالله ، والقادر بالله ، والراضي .

وإيراده القادر بالله بين المقتدر بالله والراضي ، سهو ظاهر ، والصحيح (القاهر بالله) .

وقد استوزر (المقتدر بالله) ابن مقلة وخلع عليه لأربع عشرة ليلةً بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٣١٦ هـ ، وقبَض عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلةً بقيت من جُمادَى الأولى سنة ٣١٨ هـ ، ثمّ نفاه الى شيراز من بلاد فارس بعد أن صادره .

واستوزره (القاهر بالله) ، فأرسل اليه الى شيراز رسولاً يجيء به ، ورتّب له نائباً

---

(١) ثمار القلوب ١٦٧ .　　(٢) ص ٤٤ .

عنه ، فوصل ٱبن مقلة في عيد الأضحى من سنة ٣٢٠ هـ ، وخلع عليه ، ولم يزل وزيره حتّى ٱتّهم بمعاضدة عليّ بن بليق على الفتك به ، فٱستتر في أوّل شعبان من سنة ٣٢١ هـ . وسعى مع الحسن بن هارون في خلع (القاهر بالله) ، فكانا يراسلان قوّاد الساجيّة والحجريّة ، ويخوّفانهم من شرّه ، ويذكران لهم غدره ونكثه مرّةً بعد مرّةٍ . وكان ٱبن مقلة يجتمع بالقوّاد ليلاً : تارةً في زيّ أعمى ، وتارةً في زيّ مكدّ ، وتارة في زيّ ٱمرأة ، حتّى ملأ صدورهم ، فٱتّفقوا على خلعه ، وهجموا على القصر ، فقبضوا عليه ، وحبسوه ، ثمّ سملوا عينيه .

وٱستوزره (الراضي بالله) — وقد بويع بالخلافة بعد القاهر بالله لستّ خلون من جمادى الأولى من سنة ٣٢٢ هـ — بعد ثلاثة أيّام من ولايته ، فكانت الكلمة العليا في أوّل الأمر له ولحاجبه محمّد بن ياقوت . ثمّ حدثت الوحشة بينهما ، إذ تحكّم ٱبن ياقوت في البلاد بأسرها ، وخرج الأمر من يد ٱبن مقلة ، فسعى به الى الراضي ، وأدام السعاية ، فبلغ ما أراده ، وقبض الخليفة على محمّد بن ياقوت وعلى أخيه المظفّر وحبسهما ، ومات محمّد في الحبس ، ثمّ أطلق المظفّر بعد أن أخذ عليه ٱبن مقلة العهد أنّه يواليه ولا ينحرف عنه ، ولا يسعى له ولا لولده بمكروه . وكان المظفّر يظنّ ٱبن مقلة سمّ أخاه ، فكان لذلك يتحيّن الفرصة للقبض عليه ، فٱتّفق مع الجنود الحجريّة أن يقبضوا على ٱبن مقلة ، فقبضوا عليه في دهليز دار الخلافة لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ ، وأرسلوا الى الراضي بالله يعرفونه صورة الحال ، وعدّدوا له ذنوبًا وأسبابًا تقتضي ذلك ، فٱستحسن عملهم ، وٱستوزر عبد الرحمن بن عيسى ، وسلّم اليه ٱبن مقلة ، فضربه بالمقارع ، وعلّقه ، وأخذ خطّه بألف ألف دينار . ثم خلص ، وجلس بطّالاً في داره . ولما ٱستولى محمّد بن رائق على الخلافة ، وقوي أمره ، احتاط على أملاك ٱبن مقلة وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين ، فأخذ ٱبن مقلة في السعي به من كلّ جهة ، وكتب الى الراضي سرًّا يشير عليه بإمساكه ،

وضمن له أنّه متى فعل ذلك وقلّده الوزارة ، استخرج له ثلاث مئة ألف ألف دينار . فلمّا استوثق من الراضي ، سار اليه سراً ، حتّى اذا وصل الى دار الخليفة ، لم يمكنه من الوصول اليه ، وخاس بعهده فاعتقله في حجرة ، ووجّه من غد الى ابن رائق ، وأخبره بأسره لابن مقلة ، فالتمس ابن رائق من الخليفة قطع يده اليمنى التي كتب بها رسائله اليه . فقطعت ، وردّ الى سجنه ، ولم يجد منجى من محنته حتى مات فيه [1] .

* * *

٨) قال المؤلف : « وهو (أي الوزير ابن مقلة) لم يقتصر على الخطّ وحده .. بل ، لقد قرض الشعر أيضاً » . ولم يورد شيئاً من شعره ، واكتفى بالإشارة إلى أنّ له في ابن خلدون (يعني مقدّمة ابن خلدون) قصيدةً رائيّة في الخطّ .

وعَزْوُ القصيدة الرائيّة في الخطّ ، المثبتة في مقدّمة ابن خلدون ، الى الوزير ابن مقلة ، خطأ ، إنّما هي لأبي الحسن عليّ بن هلالٍ البوّاب ، والمؤلّف نفسه قد أشار إليها في ترجمة ابن البوّاب . وقد أثبتّها في هذه التحقيقات ، وتحدثت عنها بما فيه الكفاية [2] .

على أنّ الوزير أبا عليّ بن مقلة لم يكن يقول الشعر وحدَهُ ، بل كان — إلى ذلك — كاتباً أيضاً ، له اليد الطولى في الإنشاء ، وتوقيعات غير مذمومة في فنّها [3] ، وألفاظ منقولة مستعملة ، وله كلّ معنى مليح في النظم والنثر [4] .

وجملة الواصل الينا من ذلك متفرّقاً في بطون كتب الأدب والتاريخ ، وهي صُبابة لا تشفي غليلاً ، تدلّ على ملكة أدبيّة جيّدة ، وثقافة عالية ، وذوق رفيع .

---

(١) الكامل ، ووفيات الأعيان ، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية .

(٢) ص ٢٩ الى ٣٣ .

(٣) ابن الطقطقى : الفخري ٢٤٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/٦٢ .

وهـذا ما ظفرت به من آثاره الأدبيّة المنثورة في الـكتب القديمة ، ولست أشكُّ في أنّ ما فقد منها شيء كثير :

أ) كلماته : ١) يعجبني من يقول الشعر تأدّباً لا تكسّباً ، ويتعاطى الغناء تطرُّباً لا تطلّبـاً ٢) إذا أحببت تهالـكت ، وإذا أبغضت أهلـكت ، وإذا رضيت آثرت ، وإذا غَضِبت أثّرت [١] .

ب) إنشاؤه : رسالة أنفذها من سجنه إلى الوزير آبن الفُرات ، قال :

« أمسكت — أطال الله بقاء الوزير — عن الشكوى ، حتى تناهت البلوى ، في النفس والمال ، والجسم والحال ، الى ما فيـــه شفاء المنتقم ، وتقويم المجترم ، حتّى أفضيت الى الحَيرة والتبـلّد ، وعيالي الى الهُـتكة والتشـــرُّد . وما أبداه الوزير — أيّده الله — في أمري إلا بحقّ واجب ، وظن غير كاذب . وعلى كـلّ حال فلي ذِمامٌ وحرمة ، وصحبة وخدمة ، إن كانت الإساءة أضاعتها ، فرعاية [٢] الوزير — أيدّه الله تعالى — بحفظه ، ولا مفزع إلّا الى الله بلطفه ، وكنف الوزير وعطفه ؛ فان رأى — أطال الله بقاءه — أن يلحظ عبده بعين رأفته ، وينعم بإحيـاء مهجته ، وتخليصها من العذاب الشديد ، والجَـهْـد الجهيد ، ويجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوى فرجاً قريباً [٣] » .

جـ) شعره : روى منه آبن الطقطقى في (الفخريّ) ، وآبن خلـكان في (وَفيـات الأعيان) ، وآبن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) ، وآبن العماد في (شذرات الذهب) ، وغيرهم ، مقطوعاتٍ في شرح حاله ، وما آنتهى اليه أمره . وخلط آبن الطقطقى وآبن

---

(١) وفيات الأعيان ٦٢/٢ ، شذرات الذهب ٣١١/٢ .

(٢) كتب ناشر النجوم الزاهرة : « يلاحظ أن الـكلام هنا وفيما بعد غير تام ، ولم نوفق الى مصدر(*) آخر لهذه الرسالة بعد بحثنا في كثير من المظان » .

(٣) النجوم الزاهرة ٢٦٨/٣ .

(*) الصواب : « ولم نوفق لمصدر ... » .

خلكان وابن العماد في شعره ما ليس له ، وإنّما هو ممّا رواه أبو منصور الثعالبيّ في (يتيمة الدهر) « لأبي الحسن بن مقلة من أبناء الوزراء وبقيّة بني مقلة » [1] .

وأنا أروي ما رَوَوْه ، وأصحّح ما أخطؤوا في نسبته إليه .

١) قال ابن الطقطقى : « حدّث أبو الحسن بن ثابت بن سنان ، عن أبي الحسن عليّ بن هشام ، قال : لما تقلّد الفضل بن جعفر بن الفُرات الوزارةَ ، لقيت ابنَ مقلة ـ وكان معزولاً مستتراً ـ فقلت له : يقبُحُ بك ـ يا سيّدنا ـ أن تتأخّر عن لقاء هذا الوزير وتهنئته بوزارته ، فقال : ما آمنه ، ولا لي حاجة الى الاجتماع به ، فقلت : ينبغي أن تكتب اليه رُقعة ، تعتذر فيها عن تأخّرك ، وتهنّئه تهنئةً تقوم مقام حضورك . فقال : أخاف أن يجيبني بما يستدعي حضوري ، وأنشدني لنفسه :

وقائلةٍ : قد أضعتَ الصوابَ بتركك هذا الوزيرَ الجديدا ،
فقلت لها : لا عَداكِ السرورُ ولا كان قولُك إلّا سديدا ،
أمثلي تُطاوعه نفسُهُ على أن يُرى خاضعاً مستزيدا [2] ؟ »

٢) وله :

جرّبني الدهرُ على صَرْفِهِ فلم أَخرْ عند التصاريفِ
أَلِفْتُ يومَيْهِ ، ويا رُبّما يُؤْلَفُ شيءٌ غيرُ مألوفِ [3]

---

(١) يتيمة الدهر ٣/١٠٠ ، طبعة الصاوي بمصر ، ١٣٥٣ (١٩٣٤ م) . وأبو الحسن بن مقلة هو ابن الوزير أبي علي بن مقلة . وقد ذكره المسعودي في (التنبيه والإشراف) ، وابن الطقطقى في (الفخري) ، وابن الأثير في (الكامل) ، وياقوت في (معجم الأدباء) ، وابن كثير في (البداية والنهاية) ، وابن خلدون في (العبر) ، وآخرون غيرهم .. بكنيته وحدها . وله أخ يقال له علي ، ويكنى بأبي الحسين . وقد استوزر المتقي بالله أحدهما ، ولم تطل أيامه ، وخلع المتقي وهو وزيره . واتفقت الرواية عند المسعودي وابن الأثير وابن كثير على أنه (أبو الحسين) ، وانفرد ابن الطقطقى فقال (أبو الحسن) ، وتردد ابن خلدون — وتاريخه مقتول بتحريف النسخ والطبع — بين (أبي الحسن) و (الوزير بن الحسين بن مقلة) أي أبي الحسين بن مقلة .

(٢) الفخري ٢٥٤ . (٣) الفخري ٢٤٤ .

٣) وكتب الى ولده ، وقد مرض :

لقّاك ربُّك صحّةً وسلامةً ووقاك بي من طارق الأرزاء

ذُكِرَتْ شكاتُك لي وكأسي في يدي فمزجتُها دمعي مكانَ الماءِ [١]

٤) حدث أبو عبد الله أحمد [٢] بن إسماعيل المعروف بزنجيّ كاتب ابن الفرات ، قال :

لمّا نُكب ابن مقلة وحُبس ، لم أدخل اليه في محبسه ، ولا كاتبته ، ولا توجّعت له ، على ما بيني وبينه من المودّة والصداقة ، خوفاً من ابن الفرات . فلمّا طالت به المحنة ، كتب اليّ رقعةً ، فيها :

تُرَى حُرِّمَتْ كُتْبُ الأخلّاءِ بينَهُمْ

أَبِنْ لي ، أَمِ القرطاسُ أصبح غاليا ؟

فما كان لو ساءلْتَنا : كيف حالنا ؟ وقد دهمتنا نكبةٌ هيَ ما هيا !

صديقك من راعاك في كلّ شدّة [٣] وكُلّاً تراه في الرّخاءِ مُراعيا

فَهَبْكَ عدوّي ، لا صديقي ، فإنّني رأيتُ الأعادي يرحمون الأعاديا [٤]

٥) قال يشير الى قطع يده ، وهي أربعة أبيات في (وفيات الأعيان) و (شذرات الذهب) ، وثلاثة في (الفخريّ) :

ما سئمتُ [٥] الحياةَ ، لكنْ توثّقْتُ بأيمانهم ، فبانت يميني

(١) الفخري ٢٤٤ .

(٢) كذا في (الفخري) طبعة غريفزولد (ص ٣١٩) ، ١٨٥٨ م ، وطبعة دار المعارف بمصر (ص ٢٤٣) ، وطبعة مصطفى محمد (ص ٢٠١) ، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م . والصحيح (أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل) كما في تاريخ بغداد ٤٨/٢ ، والفهرست ١٩٠ ، ومعجم الأدباء ٤١٧/٦ ، والوافي بالوفيات ٢١٠/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٨/٣ .

(٣) في النجوم الزاهرة : « صديقك من راعاك عند شديدة » .

(٤) الفخري ٢٤٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٨/٣ .

(٥) الفخري : « ما مللت » ، وهما بمعنى واحد .

بِعتُ ديني لهم بدنيايَ ، حتّى حرموني دنياهُمُ بعد ديني (١)

ولقد حُطتُ (٢) ما استطعت بجهدي حفظ أرواحهم ، فما حفِظُوني

ليس بعدَ اليمينِ لذةُ عيشٍ يا حياتي ، بانت يميني ، فبيني

وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

لَئِنْ قطعوا إحدى يديه مخافةً لأقلامه ، لا للسيوف الصوارم

فما (٣) قطعوا رأياً اذا ما أجالَهُ رأيتَ الردى بين اللَّها والغلاصم (٤)

٦) وعزا اليه ابن الطقطقى هذا البيتين ، وقال ابن خلكان « من المنسوب اليه » ، ورواهما الثعالبيّ لأبي الحسن بن مقلة (٥) :

لست ذا ذلّة اذا عضّني الدهـ ـرُ ، ولا شامخاً اذا واتاني

أنا نارٌ في مُرْتَقَى نَفَس الحا سدِ ، ماءٌ جارٍ مع الأخوانِ

٧) قال ابن خلكان : « ومن شعره أيضاً ما قاله الثعالبيّ في (يتيمة الدهر) :

واذا رأيتَ فتىً بأعلى رتبةٍ في شامخ عن (٦) عزّه المترفّعِ

قالت لي النَّفْسُ العَرُوفُ بقدرها : ما كان أولاني بهذا الموضعِ ! » (٧) .

وإنّما هما في (يتيمة الدهر) مَعْزُوّانِ الى أبي الحسن بن مقلة ، فتأمّل .

ص (١٦)

٩) قال : « وقد نُظمت في ابن مقلة قصائد كثيرة جميلة ، وكتبت رسائل عدّة

---

(١) لم يرد في الفخري . (٢) في الفخري : « ثم أحسنت » .

(٣) جواب الجملة القسمية الشرطية في البيت الأول ، والمعروف من كلام الفصحاء الأوائل أنهم اذا جمعوا بين القسم والشرط ، يجعلون الجواب للسابق منهما ، لكن أغفل المولدون ذلك ، وجروا على خلافه ، ومنه هذا .

(٤) الفخري ٢٤٥ . (٥) يتيمة الدهر ٣/١٠٠ .

(٦) في يتيمة الدهر ٣/١٠١ : « من » ، وهي الصواب .

(٧) وعزيا اليه أيضاً في (شذرات الذهب) ٢/٣١١ .

في وصف جمال خطّه. ثمّ اقتصر من كلّ هذا على بيت مفرد، عزاه الى أبي عبيد البكريّ الأندلسيّ، وهو:

خطُّ ابن مقلةَ، مَنْ أرعاه مقلتَهُ ودّت جوارحُهُ لو أصبحتْ مُقَلا

والصحيح أنّ قائل البيت هو أبو منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبيّ الأديب المؤلف المشهور. وقد عزاه لنفسه في كتابه (ثمار القلوب) — وفيه: «خُوِّلَتْ»، وهي تصحيف «حُوِّلَتْ»، بدل «أصبحت» — وذكر بعده هذا البيت:

فالدرُّ يصفرُّ لاستحسانه حسداً والبدر يحمرُّ من أنواره خجلا (1)

ورواه ابن خلكان وقال: «لمّا شاهد أبو عبيد البكريّ الأندلسيّ، صاحب التصانيف، خطّ ابن مقلة، أنشد هذا البيت» (2). أي أنّه تمثّل به، وليس له.

وقال أبو منصور الثعالبيّ في خطّ ابن مقلة أيضاً:

سقى الله عيشاً مضى وانقضى بلا رجعةٍ أرتجيها ونُقْلَهْ
كوجهِ الحبيبِ وقلبِ الأديبِ وشعرِ الوليدِ (3) بخطّ ابن مُقْلَهْ

وقال الصاحب إسماعيل بن عبّاد:

خطُّ الوزيرِ ابنِ مُقْلَهْ بستانُ قلبٍ ومُقْلَهْ (4)

وقال الآخر:

سبق الدمعُ في المسير المطايا إذ روى من أحبّ عنه بقلّهْ
وأجاد السطورَ في صفحة الخـ ـدّ، ولِمْ لا يُجيدُ وَهْوَ ابنُ مُقْلَهْ؟

---

(1) ثمار القلوب ١٦٧. (2) وفيات الأعيان ١/٣٤٥.

(3) أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، الشاعر المشهور، المتوفى سنة ٢٨٣ هـ. وكان يقال لشعره «سلاسل الذهب»، وقيل فيه: «أراد أن يشعر فغنى»، وهو في الطبقة العليا.

(4) ثمار القلوب ١٦٧.

وقال الآخر :

تسلسل دمعي فوق خدّيَ أسطراً ولا عجبٌ من ذاك وهو ابنُ مُقْلَةِ [1]

وقال أبو حيّان التوحيديّ في رسالته في (علم الكتابة) : قال لنا أبو عبد الله بن الزنجيّ الكاتب [2] — ورأيته بأذربيجان يكتب لإبراهيم بن المرزبان السلار — : أصلح الخطوط ، وأجمعها لأكثر الشروط ، ما عليه أصحابنا بالعراق . فقلت : ما تقول في خطّ ابن مقلة ؟ قال : ذاك نبيٌّ فيه ، أُفرغ الخطُّ في يده كما أُوحي الى النحل في تسديس بيوته [3] .

ومن سَجَعات جار الله الزمخشريّ في (أساس البلاغة) : في خطّه حظٌّ لكلّ مقلة ، كأنّه خطّ ابن مُقْلَة [4] .

قال الثعالبيّ : خطّ ابن مقلة ، يُضْرَبُ مثلاً في الحسن ؛ لأنّه أحسن خطوط الدنيا . وما رأى الراؤون ، بل ما روى الراوون مثلَهُ في ارتفاعه عن الوصف ، وجريه مجرى السحر [5] .

هذا ، وما ذكره المؤلّف من الرسائل العديدة في وصف جمال خطّ ابن مقلة ، لم يبلغنا منه شيء . ولقدامة بن جعفر رسالة فيه ، تعرف بالنجم الثاقب ، ذكرها ابن النديم .

* * *

١٠) الخطّ البديع المنسوب : لمّا بلغ الكتّاب المجوّدون ـ في عصر المأمون ـ بالخطّ العربيّ بعضَ مراتب إتقانه ، وكتبوه على وَفْق الرسوم والقوانين التي وُضعت له ، وصفوا الخطوط المتقنة يومئذٍ بـ (الخطوط الأصليّة الموزونة) [6] .

---

(١) صبح الأعشى ٣/١٧ .

(٢) أنظر الحاشية في ص ٦٣ .

(٣) رسالة علم الكتابة المنشورة في مجلة Ars Islamica

(٤) أساس البلاغة : مادة (م/ق/ل) .

(٥) ثمار القلوب ١٦٦ .

(٦) الفهرست ١١ ، كشف الظنون ١/٧١١ .

والظاهر أنّ الناس جروا على هذا الوصف طوال القرن الثالث الهجريّ ، إلى أن نبغ الوزير أبو عليّ بن مقلة في مطلع القرن الرابع ، فأطلق على قلم النّسخ اسم (البديع) [١] ، ووُصفت (الخطوط الأصليّة الموزونة) بـ (الكتابة المنسوبة) ، فقتلت هذه تلك بخفّتها ورشاقتها .

وحين بدأ ذيوع هذا الوصف للخُطوط الجميلة المكتوبة على وفق الرسوم والقوانين التي ابتكرها ابن مقلة ، زيادةً على مبتكرات سابقيه ، بـ (الكتابة المنسوبة) .. طفق المتعلّمون يتساءلون عن اشتقاقها ، وسبب تسميتها : أسمّيت منسوبةً لتناسبها ، أم لأنّها نُسبت الى واضعها ؟ وما سبب إعجاب الناس كافّةً بها ، وميلهم إليها ، خصوصاً أهل الذكاء من سادتهم ، والألبّاء من صدورهم وقادتهم ، حتّى من كان منهم أمّيّاً ؟ ولم اختصّ هذا بالكتاب العربيّ حتّى أعجبت صورته رائيه ولو كان أعجميّاً ؟ ونحو من هذا التساؤل الذي تجده في رسالة (الكتابة المنسوبة) التي ذكرتها في هذه التحقيقات من قبل [٢] ، وهي لكاتب مجهول يظنّ أنّه من أهل القرن الخامس الهجريّ .

وقد أجاب هذا الكاتب عن كلّ أولئك بأسلوب لا يبرأ من غموض وإبهام ، ومحصّل جوابه عن السؤال الأوّل يدلّ على إرادة المعنيين جميعاً : تناسب الخطّ في أشكاله الهندسيّة المتقنة المجوّدة ، ونسبتها إلى إمام من أئمّته [٣] . ذلك أنّ الكاتب إذا بلغ في تعلّم صناعة الخطّ غاية قدرته ، كانت لخطّه ملامح خاصّة يُعْرَفُ بها ، ومعان تخصّه ، ويعرفها

(١) تراجع (ص ٥٠) من هذه التحقيقات .

(٢) ص ٤٧ ، وقد سميتها هناك (رسالة الخط المنسوب) سهواً ، وهما بمعنى واحد .

(٣) ظن بعض الباحثين من المعاصرين أن الشق الأول ، أي معنى النسبة وحده ، هو الأصل في وضع هذا الاسم ، كما ذهب الى ذلك مؤلف (تاريخ الخط العربي وآدابه) في ص ٢٦٦ و ص ٢٨٩ منه . وأغرب محققو كتاب (النجوم الزاهرة) حين زادوا على وصف الوزير ابن مقلة ٣/٢٦٨ بـ « صاحب الخط المنسوب » (الى) الجارة وضمير الغائب ، فجعلوه « صاحب الخط المنسوب (اليه) » . ولو عرفوا سر التسمية هذه ، لما أجازوا لأنفسهم هذه الزيادة .

أهل التمييز والنقد كما تُعْرَفُ وجوه الناس — وإن تشابهت أعضاؤها وتشاكلت أجزاؤها — بمعان تخص كلّ وجه منها ، تعرفها القلوب ، وتشهدها العيون .

وكلّ كاتب يبلغ بالتجويد حدّاً ، تميل به نفسه الى معان تخصّ خطّه ، وتميّزه عن غيره ممن يكتب على طريقته ، ولو اجتهد في محاكاة خطّه ، فيُنْسَبُ الخطّ — من هذه الجهة — إلى كاتبه المجيد .

ثمّ علّل إعجاب الناس بـ (الكتابة المنسوبة) بما توفر فيها من التناسب والانسجام والحسن ، وأنّ حسن الكتابة جمال مطلوب للنفس ، وصحّة نسبتها صورة معشوقة للقلب .

فاذا ناسب كلُّ حرف مجاوَره وما بعد مجاورِه وما قبله في كلمته ، واعتدلت مقاديره ، وبهر العيونَ صفاؤه وقوّته ، طلبته النفس ، وعشقته ، كالصوت : إذا تناسب تحرّرت الألحان ، وعدّل بالأوزان ، شرُف شأنه ، ودان له ذوو الأخطار .

فالخطّ المنسوب من حيثُ تشاكُلُه وتناسبه وإشراق معانيه ، كالجوهر ، محبوب الشيمة ، محفوظ القيمة ، معدود من الأعلاق النفيسة والذخائر الكريمة .

وأمّا كونه يعجب القارىء والأمّي ، ويزدهي العربيّ والأعجميّ [1] ، فلأنّ إعجابه لا يتوقّف على أن يقرأ ، لكنّه معنى تدركه النفس بالنظر فيُدْرَى .

وقد أفاض العلماء المعنيّون ببحوث الخطّ العربيّ ، من القدماء خاصّةً ، في شرح قوانين الكتابة المنسوبة ، وما تعارفه الخطّاطون من تناسب الحروف ومقاديرها في كلّ قلم ، ونسبة بعضها الى بعض ، ممّا توجبه قوانين الهندسة والنسبة الفاضلة ، وكتبوا في ذلك كتباً ورسائل كثيرة .

وتجد مثالاً لذلك مختصراً وواضحاً في كلام صاحب (رسائل إخوان الصفا) في

---

(١) أنظر ما قدمته في (٤٤) و (٥٧) من إعجاب الروم بخط أحمد بن أبي خالد كاتب المأمون ، وخط الوزير ابن مقلة .

رسالة الموسيقى منها ، وفي (ألفيّة زين الدين شعبان الآثاري) ، وكلام شرف الدين ابن عبد السلام في (صبح الأعشى) ، وغيرهم .

* * *

١١) قال المؤلّف : « واستوزر في الدولة العبّاسيّة في عهد الخليفة محمّد بن منصور القاهر بالله ، والخليفة المعتصم بالله » ، وكرّر هذا في الصفحة العشرين ، وكان من قبل ذكر أنّه استوزر في عهد ثلاثة من الخلفاء العبّاسيّين ، وسمّى القادر بالله مكان القاهر بالله ، فصحّحت ذلك في الفقرة (٧) .

ولست أنقد هذا الخبر من جهة أنّه اقتصر فيه على تسمية خليفتين اثنين فقط من ثلاثة استوزروا أبا عليّ بن مقلة ، ولكن من جهات أخرى :

١) سُمّي فيه القاهر بالله محمّد بن منصور ، والصحيح أبو منصور محمّد ، وهو ابن أبي العبّاس أحمد المعتضد بالله .

٢) قُدّم فيه القاهر بالله على المعتصم ، وذلك يشعر بتقدّم عهد الأوّل على عهد الثاني ، والصحيح العكس .

٣) جُمع فيه بين خليفتين انفرجت مسافة الزمن بينهما انفراجاً اتّسع لعهود تسعة خلفاء ، إذ وليَ الخلافة — بعد المعتصم بالله ، وهو أبو اسحاق محمّد بن هارون الرشيد — (١) ابنه الواثق بالله (٢) ابنه الثاني المتوكّل على الله (٣) المنتصر بالله بن المتوكّل (٤) المستعين بالله أحمد بن محمّد بن المعتصم (٥) المعتزّ بالله بن المتوكّل (٦) المهتدي بالله بن الواثق (٧) المعتمد على الله بن المتوكّل « توفّي لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ وفي عهده ولد أبو عليّ بن مقلة لتسع بقين من شوال ٢٧٢ هـ » (٨) المعتضد بالله أحمد بن الموفّق طلحة بن المتوكّل (٩) المكتفي بالله بن المعتضد « توفّي في ١٢ ذي القعدة سنة ٢٩٥ هـ ، وكانت سن أبي علي بن مقلة يوم مات ٢٢ سنة و ٢١ يوماً » .

ويلي المكتفيَ المقتدرُ بالله ، وهو الذي أستوزر ابن مقلة لأوّل مرّة سنة ٣١٦ هـ .

* * *

١٢) ذكر المؤلّف أسماء الخطّاطين في شجرة الخطّ التي تنتهي الى ابن مقلة ، ومنه الى ابن البوّاب ومن جاء بعده . وسيعود فيفرد لشجرة الخطّ الى ياقوت المستعصميّ بحثًا مستقلاً .

ومن هذه الأسماء ما عرضت له من قبل كإسحاق بن حمّاد والأحول والحسن بن عبد الله المرزُبان أو المرزُبانيّ أو ابن المرزُبان ومحمّد السمسمانيّ ، ومنها ما أوّجل الكلام عليه الى موضعه في مبحث (شجرات الخطّ الى ياقوت المستعصميّ) كالحسن البصريّ وابراهيم السجزيّ أو الشجريّ ، ومنها ما لم يذكره في مبحث (شجرات الخطّ الى ياقوت المستعصميّ) وذكره هنا كالشيخ ابن إسماعيل البخاريّ وأبي عبد الله الحسن الفصيح وأسد الله الكرمانيّ والقره حصاريّ .

١) فأمّا الشيخ ابن إسماعيل البُخاريّ ، فهو ـ في أغلب الظنّ ـ الحافظ الإمام أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل البُخاريّ الجُعْفِيّ ، صاحب (الجامع الصحيح) و (التاريخ) ، المتوفّى في خرتنك سنة ٢٥٦ هـ [١] . وقد سلكه مستقيم زاده سليمان سعد الدين أفندي في كتابه (تحفهٔ خطّاطين) في عداد مجوّدي الخطّ ، وذكر أنّه كان يكتب الخطّ الحسن بكلتا يديه [٢] . وأخبار هذا الإمام العظيم ومناقبه كثيرة جدّاً ، يخلّ بجمالها الاختصار ، وللعلاّمة جمال الدين القاسميّ الدمشقيّ صاحب التفسير الكبير (محاسن التأويل) رسالة لطيفة في سيرته ، وهي مطبوعة .

٢) وأمّا أبو عبد الله الحسن (الفصيح) ، فهو أخو الوزير أبي عليّ بن مقلة كما نصّ

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/٦٨ ، وفيات الأعيان ١/٤٥٦ .

(٢) تحفهٔ خطاطين ٣٩٣ .

عليه المؤلّف في الصفحة الحادية والعشرين . وكانت ولادته في سنة ٢٧٨ هـ ، ووفاته في سنة ٣٣٨ هـ . وكان يداني أخاه في إتقان الخطّ ، وقد بلغ فيه مكانة عالية حملت بعض الناس على أن يزعم أنّه هو صاحب الخطّ المليح ، كما نقل ذلك ابن خلكان ، وقد فنّدته من قبل [1].

وتلقيب المؤلّف إياه بـ (الفصيح) ، لم أجده في كتاب موثوق به ، وقد خلت منه ترجمته في (معجم الأدباء) [2] وهي أوسع ترجمة عرفتها له . وقد عنّ لي أن أسأل المؤلّف من أين جاء به ؟ فأجاب : رأيته في رسالة في التراجم ، كتبت في سنة ١٣٠٨ ، فنقلته منها .

٣) وأمّا أسعد الله الكرمانيّ الوارد اسمه في الصفحة الحادية والعشرين ، فإنّ اسمه الصحيح (أسد الله) . وقد جعله المؤلّف تلميذ محمّد السمسانيّ ، ولا يصحّ ذلك إطلاقًا ؛ لأنّ محمّداً السمسانيّ - اذا صحّ أنّه هو محمّد بن عليّ المترجم في بغية الوعاة وتحفهٔ خطّاطين - كانت وفاته في ٤١٥ هـ ، وهذا توفّي في ٨٩٢ هـ ، فمتى لقي أحدهما الآخر ؟ وأين ؟ قال سليمان سعد الدين أفندي في ترجمة أسد الله : سيّد أسد الله ، كرمانيّ ينسب الى كرمانشاه ، أفاد حسن الخطّ في الثلث والنسخ من آثار محمّد الكرمانيّ [3] ، ومحاكاته لها ، وأُجيز بهما ، وأخذ عن أمثال قره حصاري [4] ، وفي مكتبة جامع آيا صوفيا في استنبول مُصْحَف مكتوب بخطّه [5] .

وقد كتب المؤلّف في الحاشية : « ورد في هذه الشجرة نفسها : « محمّد بن أسد » ، أي في مكان أسد الله الكرمانيّ . وهذا هو الأنسب ، بل المتعيّن . ولكن المتحقّق أنّ

---

(١) تراجم ص ٤٦ .

(٢) معجم الأدباء ٦/٢٨ .

(٣) ترجمته في تحفهٔ خطاطين ٤٢٣ .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) تحفهٔ خطاطين ١١٣ .

محمّد بن أسد كان شريك محمّد السمسماني في الأخذ عن الوزير ابن مقلة ، لا تلميذه . وقد بيّنته من قبل [1] .

٤) وأمّا القره حصاري ، فاسمه أحمد ، ولقبه شمس الدين . وقد ترجم له صاحب (تحفهٔ خطّاطين) ، وألّف فيه الدكتور سهيل أنور — صاحب هذه الرسالة — رسالة طبعها في استنبول سنة ١٩٤٨ .

ص (١٧)

١٣) يحكم : هكذا كتبه بالياء المثنّاة التحتيّة والحاء المهملة ، وهو تصحيف (بجكم) بالباء الموحّدة والجيم والكاف ، وقد ضبطه المؤرّخ التركيّ شمس الدين سامي في (قاموس الأعلام) - بالقلم - بضمّ أوّله وثالثه . قال المحقّق أحمد تيمور باشا : ويظهر لنا أنّه عَلَمٌ منقول من اسم الذئب ، فإنّه بالفارسيّة بچكم ، ولكنّه بفتح الأوّل وكسره وسكون الجيم الأعجميّة وفتح الكاف .

وتصحيف هذا الاسم بهذه الصورة ، شائع في كثير من كتب التاريخ والتراجم ، القديمة والحديثة ، من أمثال : (وَفَيات الأعيان) [2] ، و (تاريخ ابن خلدون) [3] ، و (تاريخ دول الإسلام) [4] ، وغيرها .

وقد تصحّف في (دائرة معارف القرن العشرين) [5] بصورة (ياقم) ، وهو تصحيف شنيع . وقد نبّه عليه أحمد تيمور باشا في كتاب (التصوير عند العرب) ، وظهر له أنّه

---

(١) تراجم ص ١٩ .

(٢) ٦٢/٢ ، المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٢٠ هـ .

(٣) ٤١٠/٣ ، بولاق .

(٤) تأليف رزق الله منقريوس ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، قال حين ذكره أول مرة : « يحكم (وقيل بجكم) » ، ثم عاد الى « يحكم » في ١٤٠ .

(٥) ٥٧٢/١ .

عرّب عن الافرنجيّة بلفظ (باقم) بالباء الموحّدة ، ثم تصحّف في الطبع بالمثنّاة التحتيّة ، وكلاهما غير صحيح كما قال .

و (بجكم) هذا أمير تركيّ ، له ذكر مستفيض في كتب التاريخ . كان في أوّل أمره من غلمان أبي عليّ العارض ، ثمّ اتّصل بابن رائق أمير الأمراء ، وتلقّب بـ (الرائقي) نسبةً اليه . ثمّ فارقه ، وانتهى أمره بأن تغلّب على بغداد في خلافة الراضي بالله ، وتولّى إمرة الأمراء مكان ابن رائق ، وضرب الدنانير والدراهم باسمه ، وصوّر عليها صورته شاكيَ السلاح [1] . ولم يزل على ذلك حتّى قتله غلام من الأكراد قرب نهرجُور وهو يتصيّد [2] ، وذلك لأربع - وقيل لسبع [3] - بقين من شهر رجب سنة ٣٢٩ هـ ، فعاد ابن رائق واستولى على بغداد . وكانت مدّة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر .

وكان موصوفاً بالعقل ، وبكثرة الأموال والصدقات ، وكان يقول : العدل ربح السلطان في الدنيا والآخرة [4] .

وقد نسب ابن خلكان اليه الأمر بقطع لسان ابن مقلة بعد قطع يده اليمنى [5] ، وروى ابن الأثير العكس ، فقال : لمّا قرب بجكم من بغداد ، سمع الخدم يتحدّثون بقطع يد ابن مقلة ، وأنّه قال : إن وصل بجكم ، فهو يستخلصني ، وأكافىء ابن رائق ، وصار يدعو على من ظلمه وقطع يده ، فوصل خبره الى الراضي وابن رائق ، فأمرا بقطع لسانه [6] .

* * *

١٤) قال : « وكان ابن مقلة بليغاً . فلمّا قطعت يده ، قال هذا البيت :

---

(١) مروج الذهب ٢/٥٢٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٨/١٢١ . ونهرجور : قال ياقوت : « بين الأهواز وميسان فيما أحسب » .

(٣) الأولى رواية ابن الأثير ، وهذه رواية ابن كثير .

(٤) البداية والنهاية ١٣/٢٠٠ .

(٥) وفيات الأعيان ٢/٦٢ .

(٦) الكامل ٨/١٢١ .

اذا ما مات بعضك ، فابك بعضاً فإنّ البعض من بعض قريب » .

وقد تابع في عزْو هـذا البيت الى ابن مقلة (الفلاكة والمفلوكون) و (شذرات الذهب) ، وغيرهما . والصحيح أنّه لم يقله ، وإنّما هو تمثّل به . والبيت لأبي يعقوب الخُرَيْمي [1] ، من شعراء عصر المأمون ، قاله مع بيت آخر بعده في عينه ، وهو :

يمنّيني الطبيب شفاء عيني وهل غير الإلـه لها طبيب ؟

***

وفي خبر هذه المحنة التي ابتلي بها ابن مقلة ، وصف لها حزين مؤلم ، حكاه ثابت بن سنان الحرّانيّ الطبيب ، ورُوي عنه في معظم التواريخ بتصرّف . وقد أصبته بتمامه في (ثمار القلوب) ، واستيفاء تحرير البحث يوجب إثباته .

قال ثابت :

« أمرني الراضي بالله بالدخول الى ابن مقلة آخرَ اليوم الذي قطعت يده فيه ، فدخلت اليه ، فعالجته . وسألني عن خبر ابنه أبي الحسين [2] ، فعرّفته خبر سلامته ، فسكن الى ذلك غاية السكون ، ثمّ ناح على نفسه ، وبكى على يده ، وقال : يدٌ خدمت بها الخلافة ثلاث

---

(١) هو اسحاق بن حسان بن قوهي ، جزري نزل بغداد ، وأصله من خراسان من أبناء السغد . وكان متصلا بخريم بن عامر المري وآله ، فنسب اليه ، وقيل : كان اتصاله بعثمان بن خريم ، وكان قائداً جليلا وسيداً شريفاً . (وقد تصحفت هذه النسبة في بعض الكتب بالحزيمي أي بالحاء المهملة والزاي ، وبالخزيمي أي بالخاء المعجمة والزاي) . وكان مبتلى بمرض في عينه ، وعمي لما أسن ، فرثى عينيه بشعر كثير . وهو معدود من كبار شعراء المولدين ، بلغ شعره مئتي ورقة . وكان شعوبياً ، وله شعر كثير في الفخر بالعجم على العرب ، وأدرك فتنة الأمين والمأمون ببغداد ، وقال فيها قصيدة رائية طويلة . وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٩٣ ، وكتاب الورقة ١٠٠ ، والشعر والشعراء ٥٤٢ ، وتاريخ بغداد ٣٢٦/٦ ، وتهذيب ابن عساكر ٤٣٤ ، ومعاهد التنصيص ٨٤/١ و ٨٧ ، وعصر المأمون ٢٨٦/٣ .

(٢) في وفيات الأعيان ٦١/٢ « أبو الحسين » تارة ، و « أبو الحسن » تارة . وانظر عنه التحقيق الذي قدمته في (ص ٦٢) .

دفعات ، وكتبت بها القرآن دفعتين ، تقطع كما تقطع أيـــدي اللصوص ! أتذكر ، وأنت تقول لي : إنك في آخر نكبة ، والفرج قريب ؟ قلت : بلى . قال : ترى ما حلّ بي ! فقلت : ما بقي بعد هذا شيء ، والآن ينبغي أن نتوقّع الفرج ، فإنه عمل بك ما لم يعمل بنظير لك ، وهذا انتهاء المكروه ، ولا يكون بعد الانتهاء إلّا الانحطاط . فقال : لا تغفل ، إنّ المحنة قد تشبّثت بي تشبّثاً تنقلني به من حال الى حال ، حتى تؤدّيني الى التلف ، كما تتشبّث حمّى الدقّ بالأعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤدّيه الى الموت . — ثمّ تمثّل بهذا البيت .

قال ثابت : فكان الأمر على ما قال . فلمّا قرب إتيان أمره من بغداد ، نُقل من ذلك الموضع الى موضع أغمض منه ، فلم يوقف له على خبر ، وحُجِبتُ عنه . ثمّ قُطع لسانه ، وبقي في الحبس مدّة طويلة . ثمّ لحقه ذرب ، ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه ، حتّى بلغني أنه كان يستقي الماء بيده اليسرى وفمه ، ولحقه شقاء شديد الى أن مات ، ودفن في دار السلطان . ثمّ سأل أهله بعد مدّة تسليمه اليهم ، فنبش ، وسلّم اليهم ، فدفنه ابنه أبو الحسين في داره . ثم نبشته حُرّته المعروفة بالديناريّة ، ودفنته في دارها بقصر أمّ حبيب .

قال ثابت : ومن عجائبه أنه كان يراسل الراضي بالله من الحبس بعد قطع يده وقبل أن يقطع لسانه ، ويُطمعه في المال الذي وعد تصحيحه له ، ويقول : إنّ قطع يده ليس مما يمنعه أن يستوزر ؛ لأنه يمكنه أن يوقّع بحيلة يحتال بها ، أو يعمل بيده اليسرى .

ولقد كانت تخرج من عنده له رقاع — بعد قطع يده — الى ابنه أبي الحسين ، وقبل أن يضيّق عليه . ويذكر ابنه أنها كانت بخطّ جيّد من خطّه ، وأنه كان يكتب بيده اليسرى ، أو يسند القلم على ساعد يده اليمنى فيكتب به » .

ومن نكد الدهر أنّ مثل تلك اليد النفيسة تقطع (١) .

* * *

---

(١) ثمار القلوب ١٦٨ .

١٥) قال : « وكان الشاعر ضريح يُثني على فصاحة سَحْبان ، وحكمة لقمان ، وزهد آبن أدهم ، وخطّ آبن مقلة ، ويعدّها جميعاً في مرتبة واحدة » .

ولست أعرف في الشعراء شاعراً يقال له ضريح . وقد سألنا المؤلّف : من أين وقع له ذلك ؟ فأجاب ولكن بما لا يزيل نكارته ، إذ قال : « إنّ فصاحة سَحْبان بالنظر إلى الشاعر ضريح ، مذكورة في مكان فارغ (كذا) من الكتاب المرقوم بـ ٣٤٦١ في مكتبة السليمانيّة العامّة ، قسم أسعد أفندي ، مع أمثلة أخرى . » فدلّ بهذا على أنّه لا يعرفه .

وهذا الذي ساقه من كلام الشاعر ، هو حلّ بيت من بيتين مشهورين ، لكنّ قائلهما غير مسمّى في الكتب التي روتهما ، وهما :

فصاحةُ سَحْبانٍ[١]، وخطُّ آبنِ مُقْـلَةٍ وحكمةُ لُقمانٍ[٢]، وزُهدُ آبنِ أدهمِ[٣]
إذا آجتمعت في المَرْء والمَرْءُ مفلسٌ ونُودي عليه ، لا يبـاع بدرهمِ

---

(١) سحبان وائل : خطيب مشهور ، أنظر عنه : ثمار القلوب ٧٩ ، وفرائد اللآل في مجمع الأمثال للأحدب ١/٢٠٤ و ٢/٣١٦ ، وكتابي : المجمل في تاريخ الأدب العربي ١/١٦١ .

(٢) ثمار القلوب ٩٧ ، والتفاسير المطولة ، وكتب الأمثال .

(٣) ابراهيم بن أدهم الصوفي المشهور : أنظر أخباره في تاريخ ابن الأثير ٦/٢١ ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٢/٨٢ ، والأغاني في ترجمة ابن كناسة ج ١٢ ، وفوات الوفيات ١/٤ ، وقاموس الأعلام ١/٥٣٨ .

شَجَرَاتُ الخَطِّ إلى ياقوتَ المُسْتَعْصِمِيّ

ص (٢٠)

١) أعاد المؤلّف في هذا الفصل ما أبدأ فيه وأعاد من قبلُ من تاريخ تطوّر الخطّ العربيّ على نحو ما بلغه علمه ، ورسم له شجرة ابتدأها بعليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - فالحسن البصريّ ، فاسحاق بن حمّاد ، فابراهيم السجزيّ أو الشجريّ ، فابن مقلة ، فالحسن ابن بهزاد المرزبانيّ ، فابن البوّاب المتوفّى سنة ٤١٣ هـ . ثمّ وثب من هذا الى ياقوت المستعصميّ المتوفّى سنة ٦٩٨ هـ ، وبينهما ما ترى من قرون نبغ فيها خلق كثير من عظماء الخطّاطين ما بين مشرق العالم الإسلاميّ ومغربه .

ولست أعترض على هذا الفراغ الذي تُرك في الشجرة بين هذين الخطّاطين ، فإنّ لذلك تأريخاً واسعاً انتشرت أصوله وفروعه في بطون الكتب ، وليس من السهل على باحث متعجّل مستوفزٍ استقراؤها وجمعها وربط بعضها ببعض في نسق تاريخيّ صحيح .. ولكنّني أعترض على الشجرة التي رسمها من الأساس ، لأنّها مجانفة للصحيح المعلوم من أمر الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام ، وقد ثبت عندنا ثبوتاً قطعيّاً أنّ بداية تطوّر هذا الخطّ إنّما كانت في العصر الأمويّ ، ثم تسلسل في نموّه الطبيعيّ على مرّ الزمن حتّى تكامل أو كاد على يد ابن مقلة فابن البوّاب ، كما فصّلت ذلك في فصل (شكل الثلث والنسخ قبل ابن البوّاب) . ومما أوردته من سلسلة الخطّاطين في الفصل المذكور ، تتبيّن أيضاً نقص هذه

الشجرة ما بين إسحاق بن حمّاد وابن البوّاب بلّهَ أوهامَها في أوّلها .

* * *

٢) الحسن البصريّ : من سادات التابعين ، كان أبوه يسار ـ وهو من سَبْيِ مَيْسان ـ مولى لزيد بن ثابت من أشهر علماء الصحابة ، وقيل : بل مولى جميل بن قطبة ، وأمّه مولاة لأمّ سلمة أمّ المؤمنين . وولد الحسن في خلافة عمر بن الخطّاب ، ونشأ بوادي القرى على الفصاحة العربيّة ، وكتب للربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وعاش نحواً من ٨٨ سنة . واشتهر بمتانة خلقه ، وعلمه ، وفصاحته ، وورعه ، وتُقاه ، فكان يعدّه الصّوفية أحدهم ويتمثّلون ألفاظه وجمله ، ويعدّه المعتزلة رأسهم لأنّه تكلم في القضاء والقدر ، وكان فقيهاً يستفتَى فيما يكون من النوازل والحوادث فيفتي بعلم ، وقصّاصاً يعدّ من سادة القصّاصين وأصدقهم .. ومن هنا حمل الناس عليه كثيراً من المناقب والأخبار والأقوال ، ومنها تجويده الخطّ قبل أن يكون للخطّ شأن يذكر وأنّه هو الذي قلب القلم الكوفيّ الى النسخ والثلث ، حتّى سهل على أبي الفرج بن الجوزيّ أن يفرد لها كتاباً في نحوٍ من عشرين جزءاً [1] ، ولو لا ذلك ما استطاع أن يبلغ به هذا المقدار .

ولا جدال أنّ روايات المؤرّخين متّفقة على أنّه عاصر خلقاً كثيراً من الصحابة وإن اختلفت في عددهم ، فأرسل الحديث عن بعضهم ، وسمع من بعضهم [2] .

وأمّا لقاؤه عليّ بن أبي طالب — رضي الله عنه — فقد ورد في رواية ضعيفة ، بل جزم الحافظ أبو زكريّا النَّوَوِيّ في (تهذيب الأسماء واللغات) بأنّه لم يصحّ ، فقال — وهو يتحدّث عمّن رأى الحسن من الصحابة ولم يصحّ له سماع منه — : « وقيل إنّه لقي عليّ ابن أبي طالب — رضي الله عنه — ، ولم يصحّ » [3] .

---

(١) صفوة الصفوة ٣/١٥٥ — ١٥٩ .

(٢) الكتاب السابق .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ، ١٦١ .

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في (تهذيب التهذيب) أنّ أبا زرعة سُئل : هل سمع الحسن أحداً من البدريين ؟ قال : رآهم رؤية ، رأى عثمان وعليّاً . قيل : هل سمع منهما حديثاً ؟ قال : لا ، رأى عليّاً بالمدينة ، وخرج عليٌّ الى الكوفة والبصرة ، ولم يلقه الحسن بعد ذلك . وقال الحسن : رأيت الزبير يبايع عليّاً . وقال عليّ بن المدائنيّ : لم يَرَ (أي الحسنُ) عليّاً ، إلّا إن كان بالمدينة وهو غلام [١] . وقال الترمذيّ : لا يعرف له سماع من عليّ [٢] .

* * *

٣) إبراهيم السنجريّ : قدمت [٣] عن إبراهيم هذا وأخيه يوسف ، اللذين أخذا الخطّ عن إسحاق بن حمّاد ، ما عرف من نبوغهما في الخطّ ، وما اخترعا من أقلامه . وقد ورد في (تحفهِ خطّاطين) أنّ إبراهيم تُوُفّي في حدود المئتين ، وفي (خطّ وخطّاطان) أنّه توفّي سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفّي يوسف سنة ٢١٠ هـ .

أمّا نسبته ، فقد وردت في هذه الرسالة وفي المظانّ التي رجعت إليها على أربع صور :

١) السنجريّ (بالسين فالنون والجيم والراء) . وقد تفرّد بها هذا الموضع من الرسالة ، ولم أجدها في مكان آخر . وسنجر اسم تركيّ ، سمّي به السلطان سنجر بن ملك شاه بن ألب أرسلان بن سلجوق ، وقد ولد في (سِنجار) من بلاد الجزيرة — وهي اليوم عراقيّة — فسمّي باسمها على عادة الأتراك ، ويقال في النسبة الى هذه البلدة (سنجاريّ) [٤] .

٢) السجزيّ ، نسبة إلى (سجز) بكسر السين وسكون الجيم وفي آخرها زاي ، قال ياقوت : هو اسم لسجستان البلد المعروف في أطراف خراسان ، والنسبة اليها سجزيّ ،

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/٢٦٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ٢/٢٦٨ .

(٣) ص ٤٥ .

(٤) اللباب في تهذيب الأنساب ١/٥٦٨ ، معجم البلدان ٥/١٤٤ .

وأكثر أهل سجستان ينسبون هكذا [١] .

وقد ورد هذا في عدّة مواضع من الرسالة ، وفي (تحفه ِ خطّاطين) و (خطّ وخطّاطان) وهما باللغة التركيّة أيضاً ، فكأنّ علماء الترك يريدون أن يجعلوا إبراهيم وأخاه يوسف من أهل خراسان ، أو أطرافها .

٣) الشجريّ (بالشين والجيم المفتوحين ثمّ الراء) نسبة الى الشجرة . وهي قرية بالمدينة المنوّرة ، منها ابراهيم بن يحيي بن محمّد بن عباد بن هانيء الشجريّ المدنيّ [٢] ، والشجرة أيضاً اسم قرية بفلسطين [٣] . وشجرة أيضاً اسم رجل ، وقد سمّت به العرب مثل شجرة بن معاوية بن ربيعة بن وهب بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ، بطن منهم ويقال لهم الشجرات ، وشجرة بن منصور جدّ أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة القاضي الشجريّ ببغداد [٤] .

وهذه الصورة في نسبة ابراهيم الشجريّ وأخيه يوسف ، وردت في (صبح الأعشى) [٥] ، ولعلّها الراجحة .

٤) الشحريّ ، نسبة الى الشحر (بكسر الشين وسكون الحاء المهملة) . وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، قال الأصمعيّ : هو بين عدن وعُمان ، قد نسب اليه بعض الرواة [٦] ، وينسب اليه محمد بن خوي الشحريّ اليمانيّ [٧] .

وقد وردت هذه الصورة في نسبة ابراهيم في (ضوء الصبح المسفر) [٨] .

* * *

٤) نسب الى ابن مقلة إبداع « الأقلام الستة » ، ولم يسمّها . وقد قدّمت في فصل

---

(١) معجم البلدان (سجز) و (سجستان) .
(٢) اللباب ٢/١٣ ، معجم البلدان ٥/٢٣٨ .
(٣) معجم البلدان ٥/٢٣٨ .
(٤) اللباب ٢/١٣ .
(٥) ٣/١٦ ، ١٠٤ .
(٦) معجم البلدان ٥/٢٤٠ .
(٧) اللباب ٢/١٤ .
(٨) ١/١٨٣ .

(شكل الثلث والنسخ قبل ابن مقلة وابن البوّاب) الأقلام التي أتقنها هو وأخوه . أمّا الأقلام الستّة التي كانت مستعملة قديمًا في دواوين الإنشاء ، على عهد القلقشنديّ ، فهي : الجليل أو قلم الطّومار ، والثلث الثقيل ، والثلث الخفيف ، وقلم التوقيع أو التوقيعات ، وقلم الرقاع ، وقلم الغبار أو غبار الحلبة [1] . ولم يذكر القلقشنديّ قلم النسخ بين هذه الأقلام.

ولهذه الأقلام قواعد ، وفي كتابة حروفها مذاهب لابن مقلة وابن البوّاب مبسوطة في (صبح الأعشى) [2] .

وقال حاجي خليفة : الأقلام الستّة التي اشتهرت بين المتأخّرين ، هي : الثلث ، والنسخ ، والتعليق ، والريحان ، والمحقّق ، والرقاع . وذكر من الماهرين في هذه الأنواع ، من قدماء الخطّاطين ومتأخّريهم : ابن مقلة ، وابن البوّاب ، وياقوت ، وعبد الله أرغون ، وعبد الله الصيرفيّ ، ويحيى الصوفيّ ، والشيخ أحمد السهرورديّ ، ومبارك شاه السيوفيّ ، ومبارك شاه القطب ، وأسد الله الكرمانيّ [3] .

وأمّا الأقلام المستعملة في عصرنا ، فهي : الثلث ، والنسخ ، والرقعة ، والديوانيّ ، والهمايونيّ ، والفارسيّ ، والإجازة ، والتوقيع . ذكر ذلك الكرديّ المكّيّ في كتابه (تاريخ الخطّ العربيّ وآدابه) ، وقال : تعتبر هذه الأنواع أساسيّة في عصرنا ، وهي المعبّر عنها عند الخطّاطين بـ (شش قلم) وهي كلمة فارسيّة معناها الأقلام الستّة [4] ، ثمّ عدّد الأقلام الفرعيّة ، وهي : جليّ الثلث ، وجلي الديوانيّ ، وجليّ الفارسيّ الذي يسمّى في بلاد العجم والأفغان (نستعليق) [5] ، والريحاني ، وخطّ التاج [6] .

---

(١) بالباء الموحدة ، وقد صحفت في صبح الأعشى بالياء المثناة التحتية .

(٢) الجزء الثالث منه .

(٣) كشف الظنون ١/٧١١ .

(٤) يلاحظ أن الأقلام الأساسية التي رويناها عنه هي ثمانية ، لاستة .

(٥) وأول من وضع قواعده ميرعلي سلطان التبريزي ، المتوفى سنة ٩١٩ هـ .

(٦) تاريخ الخط العربي وآدابه ١٠٠ .

* * *

٥) قال : « وقـــد استوزر في عهد الخليفة محمّد بن منصور القاهر بالله ، والخليفة المعتصم بالله » .

وقد بيّنت في الفصل السالف ما في هذا من أوهام [(١)] .

ص (٢١)

٦) « حسن بن بهتر ومؤمن بن البوّاب عليّ بن هلال البغداديّ » : بيّنت الغلط في هذا في مبحث (الخطّاطين الذين تشابه أسماؤهم اسم ابن البوّاب) [(٢)] .

وقد كتبه المؤلّف هاهنا كما كتبه هناك ، وإنّما هما علمان ، لا علم لشخص واحد ، وهما :

١) الحسن بن بهزاد المرزُبانيّ .

٢) ابن البوّاب عليّ بن هلال البغداديّ .

* * *

٧) « قبلة الكتّاب الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصميّ الطواشيّ البغداديّ ابن عبد الله » : وصف ياقوت هذا بـ « قبلة الكتّاب » ، وجدته في (تحفهٔ خطّاطين) [(٣)] ، ولم تنعته به كتب التراجم العربيّة فيما أعلم . و « الطواشيّ » : الخصيّ ، وهو مولّد لم يوجد في كلام العرب [(٤)] ، ثمّ استعملوه ودخل في الشعر كما في بيت ابن مطروح من شعراء القرن السابع الهجريّ من قصيدة خاطب بها ملك الفرنسيس لويز التاسع Saint Louis [(٥)] :

---

(١) أنظر (ص ٦٩) .　　(٢) ص ٣٨ .

(٣) ص ٥٧٥ .　　(٤) تاج العروس : مادة (ط/و/ش) .

(٥) كان ذلك حين دحره المصريون في (موقعة دمياط) سنة ٦٤٨ هـ ، وأسروه مع جيشه ، وسيقوا الى (المنصورة) ، وقيد (لويز التاسع) ، واعتقل في دار القاضي (ابراهيم بن لقمان) ، ووكل به (الطواشي صبيح) خادم المعظم (توران شاه الأيوبي) . ثم فاوض المصريين على إخلاء (دمياط) فأطلقوه ، وأقام بجيشه الى (عكا) . ثم بلغ المصريين أنه يضمر العودة ، فقال ابن مطروح يخاطبه متهكماً ومنذراً :

قـل للفرنسيس اذا جئتـه　　مقال صدق من قؤول نصيح =

دارُ ٱبنِ لُقمانَ على حالِها والقيدُ باقٍ والطواشي صبيحْ

و (جمال الدين) هو لقبه ، وقد حرف في (منتخب المختار) [١] الى (كمال الدين) .
وكان يكنى بـ (أبي الدرّ) [٢] ، وقيل كنيته (أبو المجد) [٣] ، وقال جرجي زيدان :
« ٱسمه أبو الدرّ » [٤] ، والفرق بين الاسم والكنية أوضح من أن ينبّه عليه .

وأصل ياقوت روميّ . وكان من مماليك المستعصم بالله آخر الخلفاء العبّاسيّين ببغداد ، فٱنتسب اليه . تميّز بالأدب ، والشعر ، وجودة الخطّ . قال ٱبن العماد : هو آخر من ٱنتهت اليه رئاسة الخطّ المنسوب ، كان يكتب على طريقة ٱبن البوّاب [٥] . وقال ٱبن رافع : كتب عليه خلق من أولاد الأكابر ، وكان محترماً معظّماً [٦] . توفّي ببغداد سنة ٦٩٨ هـ .
وله مؤلّفان :

١) أخبار وأشعار وملح وحكم ووصايا منتخبة ، طبع في الأستانة سنة ١٣٠٢ .
٢) أسرار الحكماء ، طبع في الأستانة سنة ١٣٠٠ [٧] .

= أتيت (مصراً) تبتغي ملكها تحسب أن الزمر ، ياطبل ، ريح
وكل أصحابك أودعتهم بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسين ألفاً لا ترى بينهم غير قتيل أو أسير جريح
وفقك الله لأمثالها لعل عيسى منكم يستريح
فقل لهم إن أضمروا عودة لأخذ ثأر ، أو لقصد صحيح :
دار (ابن لقمان) على حالها والقيد باق ، و (الطواشي صبيح)

(١) ص ٢٣٣ ، ط . بغداد .
(٢) شذرات الذهب ، البداية والنهاية ، منتخب المختار ، وغيرها .
(٣) النجوم الزاهرة ٥/٢٨٣ .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٣١ .
(٥) شذرات الذهب ٥/٤٤٣ .
(٦) منتخب المختار ٢٣٣ .
(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٣١ .

ومن شعره نتف في (شذرات الذهب) ، و (البداية والنهاية) ، و (منتخب المختار) .

وقد اّنبهم أمر المستعصمي هذا على مؤلف (تاريخ الخط العربي وآدابه) (١) فخلط بينه وبين ياقوت بن عبد الله الملكي الكاتب ، وأضاف اليه ما لهذا ، إذ كان خط الملكي في نهاية الحسن على طريقة اّبن البواب أيضاً ، ووضع لوفاته تاريخين متباعدين جداً : أخذ أحدهما من (شذرات الذهب) ، والآخر من (تحفه خطاطين) ، كمن يروي روايتين ، غير متفطن لبعد التأريخين . وكانت وفاة ياقوت الملكي سنة ٦١٨ هـ ووفاة ياقوت المستعصمي سنة ٦٩٨ هـ ، فبينهما ثمانون سنة .

ومنشأ هذا التخليط الذي وقع فيه ، اّتباعه اّبن العماد في تسميته ياقوت الملكي بياقوت المستعصمي سهواً (٢) . على أنّ اّبن العماد كما ترجم لياقوت الملكي ترجم ليـاقوت المستعصمي أيضاً في وفيات سنة ٦٩٨ هـ (٣) ، فكان على مؤلف هذا الكتاب أن يفطن لذلك فيتجنبه ، والكمال لله .

* * *

٨) عبد الله الصيرفي : خطاط بغدادي ، كان خطه في نهاية الجودة ، كتب الشيخ حمد الله بن مصطفى دده الأماسي على طريقته ، وأخذ عنه خير الدين المرعشي ، وتوفي في حدود التسع مئة . وله ترجمة في (تحفه خطاطين) (٤) .

* * *

٩) خير الدين المرعشي : أخذ الخط عن عبد الله الصيرفي البغدادي ، وكان خطه في نهاية الحسن ، تخرج عليه خلق كثير ، واّنتفعوا به ، ومنهم حمد الله الأماسي في أوائل تعلمه . وكانت وفاته سنة ٨٧٦ هـ . وترجمته في (تحفه خطاطين) ، و (خط وخطاطان) .

---

(١) تاريخ الخط العربي وآدابه ٣٦٨ . (٢) شذرات الذهب ٥/٨٣ .
(٣) شذرات الذهب ٥/٤٤٣ . (٤) ص ٢٨٧ .

الأماكن التي وجدت فيها خطوط علي بن هلال

(ص ٢٢)

١) ذكر المؤلّف — في أوّل هذا الفصل — أنّ في خِزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراي طوب قپو شعراً لسلامة بن جندل [١] ، مرقوماً بـ (١٢٥) ، يستهلّ الكلام في أوّله بالبسملة ، ويقرأ في ختامه إمضاء عليّ بن هلال بخطّه ، مكتوباً بماء الذهب ، ومؤرّخاً بشهر رمضان سنة ٤١٣ هـ .

وأنت إذا عارضتَ هذا التاريخ بما حقّقته من قبلُ من تاريخ وفاة ابن البوّاب [٢] ، وهو ثاني جُمادَى الأولى سنة ٤١٣ هـ ، لا تجد بدّاً من رفض هذا الخبر أو تصحيحه .

أ) أمّا رفضه ، فبأن تقول بتزوير هذا الخطّ على ابن البوّاب . ولديك شواهد تاريخيّة كثيرة على تزوير الخطوط ، ومحاكاتها محاكاةً لا يكاد يفطن لها ذو الخبرة النبيه . منها ما رويته لك فيما سلف من تزوير ابن كمّونة اليهوديّ الخطّ على ابن مقلة ، ومن أمر المصحف الذي وجده ابن البوّاب في خِزانة كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز بخطّ ابن مقلة ناقصاً جزءاً ، وكتابته هذا الجزء على طريقة ابن مقلة ، وعجز بهاء الدولة عن تمييزه . ومنها ما لم أروه من قبل كالذي تحدّث به المؤرّخون من قدرة أبي عبد الله الدينـاريّ في التزوير بحسن خطّه على أبي عبد الله بن مقلة أخي الوزير أبي عليّ بن مقـلة تزويراً لا يكاد

---

(١) ترجمة سلامة بن جندل ، وشعره ، في (شعراء النصرانية) ٤٨٦ — ٤٩١ .

(٢) ص ٢١ .

يفطن له ، ومن قدرة عماد الدين بن الشيرازيّ الدمشقيّ الكاتب (صاحب الخطّ المنسوب الذي آنتهى اليه التقدّم في زمانه ، في براعة الخطّ ، ولا سيّما في المحقّق والنسخ) على محاكاة خطّ آبن البوّاب ، وآجتهاده في النقل عنه من غير إخلال بذرّة منه في خبر طريف حدّث به الصفديّ فقال : حكي لي أنّ عماد الدين بن الشيرازيّ بلغه أن ربعة في بغداد بخطّ آبن البوّاب ، كتبها بخفيف المحقّق ، فآستعمل من ورق الطير جملة ، وأخذه معه وتوجّه إلى بغداد ، وأخذ تلك الربعة جزءاً فجزءاً . وكان يضع ورق الطير على خطّ آبن البوّاب ، فيشفّ عمّا تحته ، ويجلّي الكتابة له ، فيكتب عليها ، لا يخلّ بذرّة منها .

قال الصفديّ : وقد رأيت أنا من هذه الربعة التي كتبها عماد الدين جزءاً ، وما في الورقة مكتوب إلّا وجهة واحدة ، فكنت أتعجّب لذلك ، فلمّا سمعت هذه الواقعة ، علمت السبب في ذلك ، والله أعلم (١) .

هذا ، وقد نُشِر في (مجلة المخطوطات العربيّة) ١٢٦/١/١ مثال من الخطّ على أنّه خطّ آبن البوّاب ، يشتمل على إمضاء آبن البوّاب ، كالذي وجده صاحب هذه الرسالة من خطوطه ، وتحته تاريخ كتابته ، وهو سنة ٤١٤ هـ ، وهي تتجاوز الثابت المتحقّق من تاريخ وفاة آبن البوّاب بسنة . فلا جرم أنّ هذا المثال ليس بخطّ آبن البوّاب وإن كان المكتوب آسمه وكان أسلوبُهُ أسلوبَهُ . والمعقول أنّ كاتبه هو من تلاميذ آبن البوّاب كتبه على طريقته على سبيل المجاراة ، كما كُتبت بعض النماذج التي أثبتنا صورها في آخر الرسالة من أمثلة قلم الطُّومار على طريقة آبن البوّاب . وكلّ الفرق أنّ كاتب هذا المثال نصّ أنّ كتابته على طريقة آبن البوّاب ، وكاتب المثال المنشور في (مجلة المخطوطات العربيّة) أغفل الإشارة إلى ذلك ، لكن فضح التاريخ الذي كتبه تحته سكوته عن هذا .

ولدينا آحتمال آخر ضعيف ، هو جواز أنّ هذا التاريخ قد كتب من بعدُ تحت هذا المثال

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٠٢/١ .

من خطّ آبن البوّاب ، والله أعلم بحقيقـة الحال .

هذه مسألة مهمـة ، آثرت شرحها هنا ، لينتفع بهـا المعنيّـون بتتبّع الخطوط المنسوبة وآقتنائها ، ولتكوّن لهم فكرةً عمّا يعتور الخطوط من تزوير أو محاكاة تجنّبهم التورّط في مزالق التلبيس والخدعة .

ب) وأمّا تصحيحه : فبأن تذهب إلى أنّ التاريخ الحقّ الذي كتب به آبن البوّاب شعر سلامة بن جندل هو غير هذ التاريخ ، وأن مؤلّف الرسالة رأى شيئًا فكتب شيئًا آخر مكانه سهواً ، وهو أمر لا يستبعد وقوعه . والإنسان عرضة لأعظم من هذا السهو والنسيان .

وهذا هو الذي حصل لمؤلّف الرسالة ها هنا فعلاً ، ودليلي عليه من كلامه فيما آستأنف في الفصل الآتي من حديث عن نسخة شعر سـلامة بن جندل هذه نفسها ، وأنّه آستهـلّ الكلام فيها بالبسملة ، وفي آخرها بالذهب : « كتبه عليّ بن هلال في شهر رمضان سنة ثمانٍ وأربع مايه .. » .

وقد جرى قلم الناقل هنا على الصحـّة ، بخلاف ما صنع أوّل مرّة . ثمّ ذكر أنّ في متحف الآثار التركيّة الإسلاميّة نسخةً أخرى من هذا الأثر الذي كتب في شهر رمضان من سنة ٤٠٨ هـ ، كتبت بنمط آخر ، وأرّخت بالتاريخ نفسه ؛ وأنّ لآبن البوّاب نسختين أخريين منه كتبهما في شهر رمضان من سنة ٤٠٨ هـ أيضًا .

كذلك تحدّث عن نسخة أخرى من ضمن مجموعة كتبت أيضًا في هذا التاريخ .

* * *

٢) ذكر أنّ في خزانة كتب الأوقاف بمتحف الآثار التركيّة الإسلاميّة (كتاب بزوغ الهلال) لآبن البوّاب ، بخطّه ، مؤرخًا بسنة ٤٠٨ هـ .

وعاد في الفصل الآتي إلى هذا الكتاب فسمّاه (بزوغ الهلال في الخصـــال الموجبة للظلال) .

فدعاني تحقيق نسبته الى ابن البوّاب الى مراجعة المظانّ التي تتحدثّ عن الكتب والمؤلّفين ، فوجدتها تذكر الكتاب ، ولكنّها لا تعزوه الى ابن البوّاب ، بل هي تعزوه الى جلال الدين السيوطيّ .

وقد سمّاه حاجي خليفة في (كشف الظنون) ٢٤٢/١ (بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال) ، و (الموجبة) فيه بالباء الموحّدة ، وليست بالهاء كما ذكرها مؤلّف الرسالة . وقال في عزوها : رسالة للشيخ جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطيّ ، المتوفّى سنة ٩١١ هـ ، جمع جزءاً ، وتتبّع فيه الأحاديث الواردة في الخصال الموجبة لظلال العرش ، فبلغ سبعين خصلة ، واستوعب شواهد[ها] ، ثمّ لخّص مرّةً بعد أخرى ، واقتصر على متن الحديث .

وذكره اسماعيل باشا البابانيّ البغداديّ في (هديّة العارفين) أيضاً ٥٣٦/١ ، وحُرّفت عنده (الظلال) الى (الضلال) .

كذلك ذكر حاجي خليفة في (كشف الظنون) ٤٨٣/١ كتاباً آخر للسيوطيّ في معنى هذا الكتاب ، سمّاه (تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظلّ العرش) .

وذكره اسماعيل باشا أيضاً في (هديّة العارفين) في جملة مؤلّفات جلال الدين السيوطيّ .

والسيوطيّ — رحمه الله — يبدىء في مؤلّفاته ويعيد ، ويطيل ويختصر ، ولا يبرأ من الأخذ والغارة .

ومسألة هذا الكتاب ، محيّرة حقّاً ، ولا سبيل الى الجزم فيها بشيء إلّا بعد الوقوف على كتاب ابن البوّاب وكتاب السيوطيّ ، وأنّى لنا الظفر بهما ؟

ص (٣١)

تحـــدث كاتب الرسالة عن مخطوط مرقوم بـ (٦٠٩) في خزانة أبهاء متحف سراي طوب قپو في استنبول ، وأشار في أثناء كلامه الى السطر الرابع (يريد الأخير) المكتوب

بالقلم الدقيق ، من الصفحة الأولى من المثال الخامس المنشور في آخر الرسالة ، وحسب أنّه حديث نبويّ ، و هو : « لزم بعض أبناء ملوك العجم باب كسرى دهراً فلم يؤذن له فتلطف » .

وهو كما ترى كلام عاديّ ، وليس بحديث نبويّ .

ص (٣٦)

وذكر في أثناء كلامه على جلد مخطوطة شعر سلامة بن جندل ، الذي صنع في بغداد على عهد ابن البوّاب ، « الروميّات التي تتخلّله » .

ولما كانت هذه « الروميّات » وصفاً لموصوف مجهول عندنا ، كتبنا اليه نسأله عما يعنيه بها ، فكتب :

« إنّ تعبير الروميّات ينصرف الى الأشكال المصنوعة في الأناطول . وقد اصطلح على اطلاقها على مثل هذه الزخارف » .

ولست أرى العلاقة في هذا الشأن واضحة من جهة التاريخ بين فنّ بغداد والأناطول ، ولن يتحقّق مثل هذه الدعوى إلّا ببيّنة تاريخيّة صادقة .

انتهى

المباحث

المقدمة

ترجمة ابن البواب :

سليمان سعد الدين وكتابه تحفة خطاطين	٥
تحقيق أسم أبن البوّاب	٧
ابن الستريّ لا أبن سري	٨
ثقافة أبن البوّاب	١٠
ترجمة محمد بن أسد الكاتب	١٩
ترجمة محمد بن السمسمانيّ	١٩
تحقيق تاريخ وفاة أبن البوّاب	٢١
ما قيل من الشعر في رثاء أبن البوّاب	٢٢
بيت المعري في أبن البوّاب	٢٤
بيت لشاعر مجهول في أبن البوّاب وتتمته	٢٥
بيتان وصف فيهما خط أبن البوّاب	٢٦
ترجمة ابراهيم بن هلال الصابىء الكاتب	٢٧
تحقيق أسم الرامي وكتابه أنيس العشاق	٢٧
قصيدة لأبن البوّاب في الخط	٢٩
مصحف بخط أبن البوّاب بالخط الريحانيّ	٣٣
كتاب ميزان الخط	٣٤
البردة لا البرأة	٣٥

الخطاطون الذين تشابه أسماؤهم اسم البواب :

ترجمة أبي سعيد السيرافيّ وتحقيق اسمه ٣٩

شكل الثلث والنسخ قبل ابن البواب :

تطور الخط العربيّ ونقله من الكوفيّ الى أشكاله الحديثة ٤٠

الأقلام التي اخترعها ابنا مقلة وتفنيد مزعم نقله ابن خلكان ٤٦

مزية خط ابن البوّاب ٤٧

تزاحم طريقتي ابن مقلة وابن البوّاب ، وأتباعهما من الخطاطين ٤٨

قلم الثلث وقلم النسخ ٤٩

مظان وجود خط ابن مقلة ٥٠

مصحف بخط ابن مقلة والتزوير على خطّه ٥١

ترجمة الوزير أبي علي بن مقلة :

تحقيق نسبه وسبب تلقيبه ٥٢

تاريخ ولادته ٥٣

تحقيق حرفة أبيه ٥٣

نشأته الأولى ٥٤

تحقيق ترجمة أستاذه (الأحول) ٥٤

كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخط ابن مقلة في كنيسة القسطنطينية ٥٧

وزارات ابن مقلة وما جرى عليه ٥٨

ثقافته ونبذ من كلماته ونثره وشعره وتصحيح أغاليط الرواة فيما نسبوه اليه ٦٠

ما قيل في وصف خطه من الشعر والنثر ٦٤

الكتابة المنسوبة ٦٦

عود الى تحقيق عهود وزارات ابن مقلة ٦٩

تحقيق أسماء الخطاطين في شجرة الخطّ ٧٠

أُبن اسماعيل البخاريّ ٧٠
أبو عبد الله الحسن بن مقلة ٧٠
أسد الله الكرمانيّ لا أسعد الله ٧١
القره حصاري ٧٢
الأمير بجكم وتحقيق أُسمه ٧٢
تحقيق نسبة بيت من الشعر الى أُبن مقلة ٧٣
خبر محنة أُبن مقلة ٧٤
تحقيق أسم شاعر مجهول ٧٦

شجرات الخط الى ياقوت المستعصمي :

نقد شجرة الخطّ ٧٧
الحسن البصرىّ ٧٨
ابراهيم الشجريّ وتحقيق نسبته ٧٩
الأقلام الستة ٨٠
ياقوت المستعصميّ ٨٢
الطواشي وشعر أُبن مطروح في لويز التاسع ٨٢
عبد الله الصيرفيّ ٨٤
خير الدين المرعشيّ ٨٤

الأماكن التى وجدت فيها خطوط ابن البواب :

تحقيق تاريخ كتاب بخط أُبن البوّاب ٨٥
نقد مثال من الخطّ زوّر على أُبن البوّاب ٨٦
كتاب بزوغ الهلال بين أُبن البوّاب والسيوطيّ ٨٧

تصحيحات

١) في كتاب الخطاط البغدادي علي بن هلال :

١٤/٧ صاحب : صوابها حاجب .

٣/٨ عليّ هلال : الصواب عليّ بن هلال .

٢) في كتاب « تحقيقات وتعليقات على كتاب الخطاط البغدادي علي بن هلال » :

١٧/١٨ تضاف (كلّ منهما) بعد (والمساكنة) .

٤٨/٢٠ وابن التبنيّ : صوابها وابن التنّبيّ .

معد للطبع

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف

عماد الدين الأصبهاني الكاتب

✡

الجزء الثاني

شعراء العراق

✡

تحقيق

محمد بهجة الأثري